حول إشكاليَّة تأسيس مدينة كيرتا (Cirta) (قسنطينة الجزائريَّة حاليًّا).عاصمة المملكة النوميديَّة (205 – 46 ق.م)

خالديَّة مضوي*

https://doi.org/10.35516/jjha.v19i3.2578

ملخص

لقد أخذ الكثيرُ من الباحثين منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى وقتنا الحاضر على عاتقهم محاولةَ معرفة تاريخ تأسيس مدينة كيرتا (Cirta) (قسنطينة الحاليَّة) والبحث في أصل نشأتها وتسميتها، وحول هذا الموضوع انقسمت آراؤهم بين من يرجّح فرضيَّةَ الأصل الفينيقيّ القرطاجيّ ومن يؤيّدُ فرضيَّةَ أصلها المحليّ، غيرَ أنَّ اعتماد الأثريّ الفرنسيّيرثي" "A. Berthier على نتائج تنقيباته الأثريَّة المنجزة بالمدينة فيما بين سَنَتَي1950 –1960م قَدَّمَ نوعًا منَ التحليل الدقيق عبرَ دراسة تلك المصادر الماديَّة المختلفة على نحوٍ متأنٍّ مستفيض، بقطع النَّظر عن اختلافنا معه بخصوص النتائج التي توصَّل إليها؛ لِذا فإنَّنا نروم عبرَ هذه الدراسة معالجةَ هذه الإشكاليَّة ونقد أدلَّة هذين الرأيين المتناقضين معَ محاولة تقديم طروحات جديدة متعلِّقة بهذا الخصوص؛اعتمادًا على تقارير التنقيبات الأثريَّة وما تقدِّمُهُ النُّصوصُ الأدبيَّةُ من معلومات ومحاولة مقاربة محتوى هذه المادة بالمعطيات الماديَّة.

الكلمات الدالة: كيرتا، إشكاليَّة، المملكة النوميديَّة، التأسيس، قسنطينة.

مقدِّمة:

إنَّ التاريخ القديم لمدينة كيرتا (Cirta) النوميديَّة (قسنطينة الحاليَّة) على غِرار المدن النوميديَّة الأُخرى لا يزال مجهولًا، فإن دلَّت الأدواتُ الحجريَّةُ والبقايا العظميَّةُ والحَيَوانيَّةُ والبشريَّةُ التي وُجِدَت في المدينة على وجود تجمُّع بشريّ بالمنطقة يعودُ إلى العصور الحجريَّة وفترة فجر التاريخ، فإنَّنا سرعان ما نُصدَمُ بفراغ كبير في المادَّة التاريخيَّة الفاصلة بين العصور الحجريَّة وفجر التاريخ وبداية الفترة التاريخيَّة، هذا الفراغُ الذي لا يمكنُ تفسيرُهُ باختفاء هذا التجمُّع البشريّ بقدر ما يعودُ إلى انعدام المصادر الأدبيَّة المحليَّة الليبيَّة والبونيَّة وإلى عدم اهتمام الكُتَّاب القُدامى الإغريق واللاتين على حدٍّ سواء بهذه المرحلة التاريخيَّة المهمَّة من تاريخنا المحلي، بحيث إنَّ الكُتَّاب القدامى الذين كتبوا عن مدن بلاد المغرب اهتمّوا في الدرجة الأولى بتاريخ الأحداث التي لها علاقةٌ بالتاريخ الروماني (منصوري 2006 : 151).

أما بالنسبة إلى المصادر الأثرية، فيمكن القول إجمالا أن المعالم الأثرية للمدينة مندثرة بحيث لا يوجد سوى جزءٍ ضئيل جدا من الآثار لم تمسُّه يدُ الإنسان خلال التغيرات التي شهدتها المدينة عبر التاريخ، وذلك منذ القدم،ويرجع سبب ذلك إلى صغر مساحة موقعها الذي لم يسمح بتعايش كل الحضارات التي تعاقبت عليه، وكان لابد من الهدم

*جامعة معسكر، مصطفى إسطمبولي، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2024/4/22، تاريخ القبول: 2024/9/8.

©2025م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

لإعادة البناء(العروق 1984 :70) ، يضاف إلى ذلك أن التنقيبات الأثرية المقامة بالمدينة لم تشمل جُلَّ مواقعها، كما أن تِقنية البحث والحفر لم تراع الشروط العلمية المعتمدة وكانت تفتقد للدقة فأسهمت في تهديم الأرضيات وإتلاف الكثير من الطبقات والمستويات الأثرية التي تعود إلى ما قبل الرومانية، أو عدم التمييز بينها وبين الرومانية،كما لم يجرِ تأريخُ محتويتها بطريقة مضبوطة، إضافة إلى التأويلات والاستنتاجات الخاطئة التي كانت تؤدي غالبا إلى مغالطات علمية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التأريخ للمآثر المحلية –إذا ما استثنينا الفخار المستورد وبعض اللقى الأثرية، مثل النقوش والمسكوكات – لا تتوفر على عوامل مساعدة لها، خاصة وأن الخزف المحلي لم يوضع له سجل حتى وقتنا الحاضر يوضح جميع أشكاله، كما أنه لم يصنف تصنيفا كرونولوجيا حتى يصبح عنصرا مساعدا لتأريخ الطبقات الأثرية المحلية، ومنها مستويات تأسيس المدن ونشأتها (العميم 1990: 63؛ بنحيون 2005: 44).

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث فيما هو مطروح من تساؤول حول جدلية تأسيس مدينة كيرتا النوميدية بين الأصل الفينيقي والمحلي لنشأتها على ضوء ماحققته المعرفة التاريخية من تقدم، هذا استفهام الذي يمكن اختزاله في مجموعة من الأسئلة الفرعية لعل من أبرزها، كيف نشأت هذه المدينة؟ متى تأسست؟ من هم مؤسسوها؟ وهل كانوا من السكان المحليين أم من العناصر الفينيقية المهاجرة؟

هدف البحث:

يكتسي الموضوع المطروق أهميته عبرَ تبيان مختلف الأراء الصريحة والضمنية والفرضيات المطروحة حول جدلية تأسيس مدينة كيرتا النوميدية بين الأصل الفينيقي القرطاجي و المحلي لنشأتها على ضوء نصوص المصادر الأدبية الإغريقية واللاتنية واستقراء الشواهد الأثرية، وما جربإنجازه من من دراسات حديثة عامة وخاصة بشأن هذا الموضوع منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى وقتنا الحاضر، كما تأتي هذه الدراسة لتبرزمكانة المؤثرات الداخلية المحلية ودورهافي تفسير عملية النشأة؛ليتسنى لنا إعداد تصور متكامل حول هُوِيَّة المدينة ولا نكتب تاريخها انطلاقا من التأثيرات الخارجية فقط مثلما كان معمولا به في أغلب الدراسات التي سبقتنا بهذا الخصوص.

منهجية البحث:

ارتكز التوجُّه العلمي لموضوع البحث على المنهج التحليلي الذي جرى عبرَهُ تسليط أضواء ساطعة على إشكالية نشأة كيرتا النوميدية وأصل تسميتها في عمومياتها وتفصيلاتها عبرَ المصادرالتاريخية ومخرجات المدرسة التاريخية الفرنسية للوصول بنتائج يُعتدُّ بها في هذا المجال وتجاوز بعض الفرضيات التي أصبحت من المُسَلَّمات بسبب تقادمها وتراكمها التاريخي وليس لأدلتها العلمية الدامغة.

وقبل أن نستطرد في معالجة مختلف العناصر المتصلة بشأن الموضوع المطروق لا بد لنا من وقفة نتعرف عبرَهاعلى الموقعَ الجغرافيَّ للمدينة موضع الدراسة ومصادر تدوينها التاريخي خلال العصر القديم.

1.موقع مدينة (كيرتا–Cirta) الجغرافي:

تعجز المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية عن إفادتنا بمعلومات دقيقة حول الموقع الجغرافي للمدينة كيرتا (Cirta) قسنطينة حاليا باستثناء سترابون "Strabon" (Strabon 2014: XVII.3,1 3) وبلينيوس "Plinius" (Plinius 1980: V,3, 22)، اللذين ذكرا أنها مدينة داخلية، في حين لم يوفق سالستيوس "Sallustius" عندما وصفها بالمدينة القريبة من البحر(Sallustius 1989: XXI.2)، وهي التي تبعد عنه 81 كلم(العروق 1984: 14) ؛لذا فإننا سنعتمد على تحدد موقعها عبرَ الدراسات الجغرافية الحديثة.

تقع هذه المدينة شمال شرق الجزائر عند الحافة الشمالية للأطلس الصحراوي، وهي بذلك تحتل منطقة الوسط بالنسبة إلى إقليم الشرق الجزائري، فهي تبعد نحو 87 كلم عن سكيكدة، و118 كلم عن مدينتي قالمة وباتنة، و125 كلم عن مدينة سطيف، و149 كلم عن مدينة جيجل، ونحو156 كلم عن مدينة عنابة، و198 كلم عن تبسة، و235 كلم عن بسكرة، كما تبعد عن الجزائر العاصمة نحو430 كلم، وعن تونس 476 كلم، وعن طرابلس الليبية 1560 كلم، وهي تعدُّحسب هذا الموقع قريبة من الساحل،كما تعدُّ بوابة للشرق الجزائري ومنفذا للصحراء(العروق 1984: 14) (الخريطة 1).

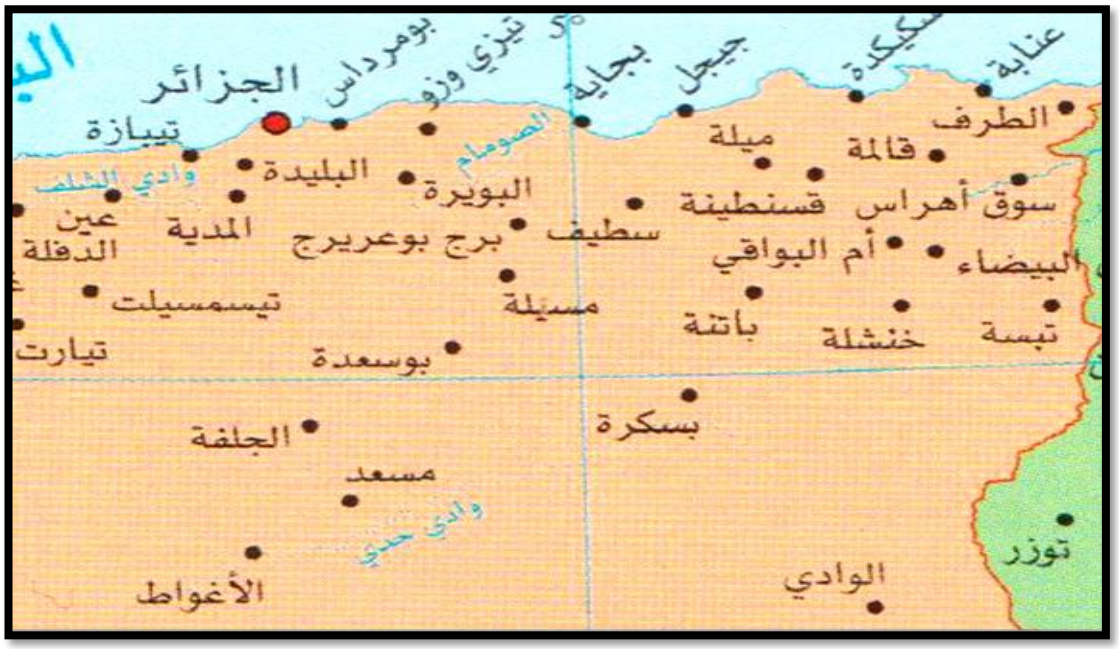

الخريطة 1: موقع مدينة قسنطينةالجغرافي. (خضر2012: 148).

ويوضحُ الجدول 1في أدناه المخلَّفات الماديَّة التي كشفت عنها الحفرياتُ التي أُجريت في المدينة.

الجدول 1: النصب البونية والبونية الحديثة المكتشفة بقسنطينة.

الموقع	عدد النصب	تاريخ الاكتشاف	المصدر
المقبرة الأوربية	**32 أو 34 نصب**	1858 م	Anonyme 1858-1859: 214; Berthier and Charlier 1955: 4.
الحفرة	**750 نصب وأجزاء نصب**	1875م 1950م	Reboud 1876-1877:1-102; Cahen 1878: 252; Bosco 1912a: 243; Berthier and Charlier 1955: 4-8.
الصخرة	**3 نصب**	1840 م – 1844 1866 م	Delamare 1840: 128 n.12; Judas 1860-1861; Judas 1866: 278.
كودية عتي	**17 نصب**	1866 م،1876 م – 1879 1880م	Marchand 1866: 17-96; Arguel 1876-1877: 306; Bosco 1911: 291; Bosco 1912b: 211-216; Reboud and Goyt 1879-1880: 190.
المنظرالجميل	**10 نصب**	1912 – 1927 م	Thepenier 1912: 231-236; Thepenier 1914: 271-279.
المنصورة	**جزء من نصب**	1952 م	Berthier and Charlier 1955: 4; Berthier 1981:164.

بُنيت المدينة القديمة فوق هضبة الصخرة التي تقع في الناحية الشمالية الغربية لمدينة قسنطينة، ويرجع تكوينها إلى العصر الكريتاسي، وهي كتلة كلسية ذات شكل مثلث غير منتظم الأضلاع، قاعدتها في الشمال ورأسها في الجنوب، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 700م ومن الشرق إلى الغرب 500 م، بينما تتميز ارتفاعاتها بعدم التجانس، بحيث يبلغ ارتفاعها الظاهر 200م، في حين يبلغ أعلى ارتفاع لها في الشمال نحو 644 م عند كاف الشكارة الذي هو موقع القصبة حاليًّا، ومنها يبدأ سطح الصخرة في التدرُّج والانحدار باتجاه الجنوب ثم الجنوب الشرقي حتى سيدي راشد؛ إذ يبلغ أدنى ارتفاع لها 564 م، وترتبط الصخرة بالأراضي المجاورة لها شمالا بشريط أرضي يبلغ عرضه 300 م يربطها بمنخفض لابريش المؤدي إلى هضبة كودية عتي، أما الجهات الأخرى فتطل مباشرة على وادي الرمل (Ampsaga flumen)؛ مما يعطيها شكلَ شبه جزيرة

52) (Gsell 1911: F17 n. 126; Pellegrin 1949: 4; Bertrandy 1994:1964; Bouchareb 2006:

يرجع سبب اختيار هضبة الصخرة لتأسيس المدينة (الخريطة 2) إلموقعها على جانبي وادي الرملوبومرزوق، وإلى العوائق والانحدارات التي تحفُّ بها كل جهاتها كهضبة المنصورةشرقًا وهضبة سيدي مسيد شمالًا وهضبة كودية عتي غربًا، ومما زاد في أهمية هذا الموقع وجوده وسط منطقة مبادلات واسعة تقع على حافة إقليمين متكاملين هما الصحراء والتل، تمرُّ بها القوافل والمسالك التجارية، وهذا ما يعطي لموضع المدينة ميزة فريدة من نوعها، وهي أنه يجمع بين شروط الموضع التجاري البري والموضع الحربي البري، وهي شروط قلَّما اجتمعت في موقع مدينة (العروق 1984: 24،27).

عرف هذا الموقع تكدُّس الإنسان؛ مما أدى إلى ظهور كثافة سكانية به، وكان لا بد من وضع القوانين والأعراف لتنظيم العلاقة بين السكان لاقتسام هذا الجمال الخصب والضيق ولتفادي الصراعات والنزاعات،ولقد أدى هذا إلى نشوء مدينة مهمَّة متمركزة في هذا الموقع، وأسهم موقعها هذا أيضًا في ظهورها كقوة سياسية واقتصادية منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد بعدما استقرَّت بها قبيلةُ الماسيل واتَّخذ منهاملوكُ الماسيل عاصمة لملكهم) (Polybius 1970: XVI; Titus Livius 1928: XXIX.29-30).

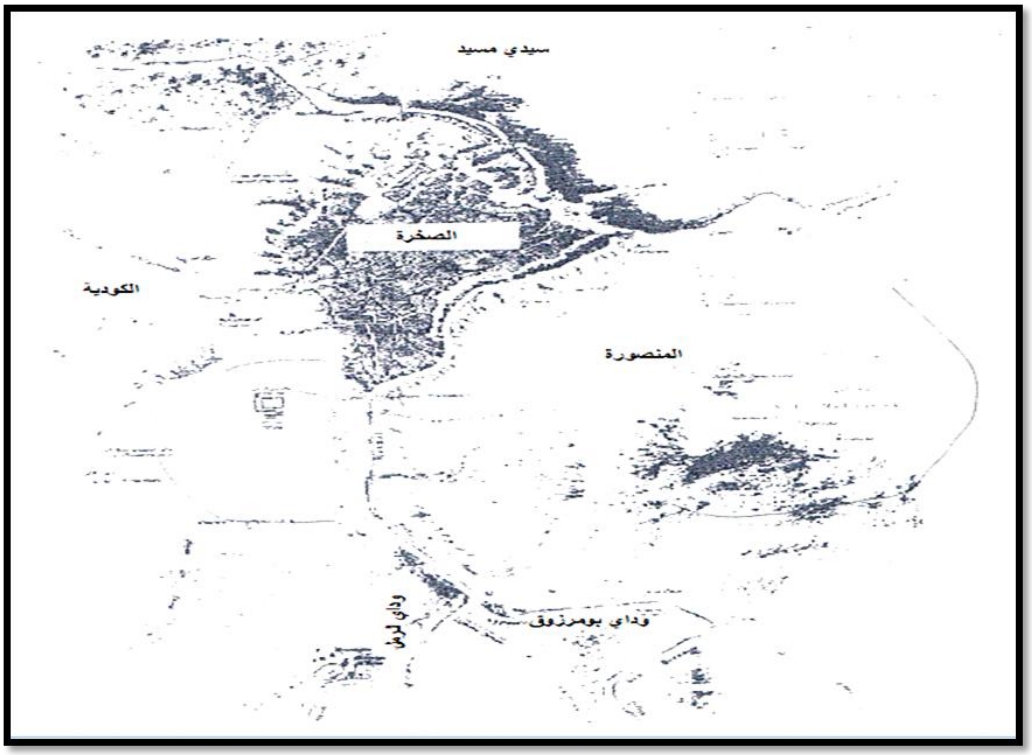

الخريطة 2: موقع مدينة كيرتا. (Pellegrin 1949: 2)

2.كيرتا عبر المصادر الأدبية:

لا يحتاج الباحث إلى الكثير من العناء ليدرك أن المصادر الأدبية الإغريقية واللاتنية على حدٍّ سواء تركت فراغًا تاريخيًّا كبيرًا فيما يتعلق بتاريخ هذه المدينة، بحيث وردت ضمنها إشارات جِدُّ مختصرة لا يتعدّى ذكر اسمها ووضعيتها السياسية خلال الفترة النوميدية بِوَصفِها عاصمة للمملكة النوميدية، ثم وضعيتها القانونية في أثناء الاحتلال الروماني بِوَصفِها مستوطنة رومانية، وذلك بخلاف المصادر الماديَّة التي لم تحفلُ بذكرها إلّا في الفترة الرومانية؛ مما يصعب معرفة كل التطوُّرات التي عرفتها هذه المدينة على مرِّ تاريخها القديم.

يتصدَّرُ قائمة الكُتّاب القدامى والجغرافيين والرَّحالة الإغريق واللاتين بحسب ترتيبهم الزمني المؤرِّخ الإغريقي بولبيوس"Polybius" (200–120 ق.م)، الذي يُعدُّ أوَّلَ من ذكر هذه المدينة ضمن كتابه السابع والثلاثين من مؤلَّفه التاريخ الروماني "Historiae romanae"، وذلك حينما تحدَّث عن زيارة القنصل الروماني بولبيوس سكيبيو" P. Scipio" لإسبانيا لها في سنة 148 ق.مبعد مرور ثلاثة أيام على وفاة ملكها ماسينيسا

"Massinissa" (Polybius 1970: XXXVII.16,10).

أما كايوس سالستيوس كريسبوس"C.Sallustius Crispus" (86–34 ق.م)، الذي كتب مؤلَّفًا حول حرب يوغرطة "Bellum Iugurthinum"، فلا نجده يذكرها وهي عاصمة نوميديا وقلبها النابض إلّا في بضع فقرات من كتابه الواحد والعشرينوالسابع والعشرين والثالث والثلاثين، حينما تعلق الأمر بحصارها أو تحديد معركة جرت بالقرب منها(Sallustius 1989: XXVI.9).

ويصف صاحبُ كتاب حرب أفريقية "Bellum Africum" المجهول عبر الفقرتين الأولى والثانية من كتابه الخامس والعشرين ظروفَ الاستيلاء على هذه المدينة من طرف حلفاء الديكتاتور يوليوس قيصر"Iulius Caesar" في خضمِّ هزيمة أتباع بومبيوس "Pompieus" وحليفهم الملك النوميدي يوبا الأول "IubaI" في معركة تابسوس (Thapsus) في شهر أفريل عام 46 ق.م،كما لم يفوته الإشادة بتطورها؛ إذ كتب يقول في هذا الصدد "...وفي هذا الوقت، أدرك الملك يوبا الأول "IIuba" المصاعب التي أصبح يعانيها قيصر وضعف قواته، ولهذا عمل على استغلال هذه الظروف فجمع قواته من الفرسان المشاة واتَّجه إلى مساعدة حلفائه، ومن جهتهما وَحَّدَ ب.ستيوس "P. Sittius"، والملك بوخوس الثاني "Bocchus II" قوَّتَهُمَا واتَّجها إلى مملكته بعد علمهم بمغادرتهم لها؛ حيث هاجماكيرتا المدينة الأكثر ازدهارًا في المملكة، وتمكَّنا من الاستيلاء عليها بعد أيام من القتال، كما تمكَّنا من الاستيلاء على مدينتين جيتوليتين...." (Caesar 1997: XXV.1-2).

أما ديودور الصقلي "Diodorus Siculus" (90–20 ق.م) فاكتفى بذكر الحصار الذي ضرب على هذه المدينة من طرف يوغرطة "Iugurtha" ملك نوميديا الغربية سنة 112 ق.م في أثناء صراعه مع ابن عمه أذربعل "Adherbal" ملك نوميديا الشرقية، وذلك عبر مؤلَّفه المكتبة التاريخية"Bibliotéke" في الفقرة الواحدة والثلاثين من كتابه الرابع والثلاثين في نسخته الإنجليزية الصادرة في سنة1967م، وفي الفقرة الثالثة والعشرين من كتابه الخامس والثلاثين في أحدث نسخة فرنسية نُشرت في سنة 2014م (Diodorus Siculus 1967: XXXIV.31 ; Diodore de Sicile 2014: XXXV.23).

أما الجغرافي سترابون "Strabon" (64 ق.م–21 أو25م)، الذي زار بلاد المغرب القديم، فيتطرَّق لهذه المدينة في فقرتين منكتابه السابع عشر من مؤلَّفه الجغرافية "Geographia"؛ إذ يشير إليها في الفقرة الأولى بِوَصفِها عاصمة للمملكة النوميدية،كما ذكر موقعها ونوَّه بازدهارها في ظل حكم الملك مكيبسا "Micipsa" (148 –118 ق.م)، وكذا لوجود جالية إغريقية بها، وفي هذا الصدد كتب يقول: "... كيرتا عاصمة الملك ماسينيسا "Massinissa" وخلفائه، تقع داخل الأراضي الماسيلية، إنها مدينة قويَّة جدًّا ومحصَّنة بكل شيء بفضل جهود الملك مكيبسا "Micipsa" الذي أسَّس فيها مستوطنة إغريقية وجعلها مستعدَّة لأي طارئ؛ حيث تمتلك 10ألف فارس و20 ألف من المشاة.."، بينما يذكر في الفقرة الثانية العلاقات التجارية التي ربطتها بقبيلة "الفاروزيين" إحدى القبائل التابعة لمملكة (موريطانيا) (Strabon 2014: XVII.3,7).

كان ينبغي انتظار نهاية النصف الأول القرن الأول قبل الميلاد ومطلع القرن الأول ميلادي لتظهر أقدم إشارة إلى هذه المدينة عند المؤرِّخ اللاتيني تيتوس ليويوس "Titus Livius" (59ق.م–17م) في مؤلَّفه التاريخ الروماني "Historiae romanae"، الذي احتوى على 142 كتابًا لم يصلنا منها سوى 35 كتابًا، وذلك عبر الفقرة الثانية من الفصل الحادي عشر من كتابه الثلاثين، التي تضمَّنت معلومة مفادها استيلاء الملك الماسيسيليصيفاقس "Syphax"

على أراضي مملكة الماسيل في سنة 205 ق.م واتخاذه مدينة كيرتا عاصمة ثانية لملكه، هذه المعلومة التي تناقلها من بعده كُتّاب قدامى وجغرافيون لاحقون، مثل: بومبونيوس ميلا "Pomponius Mela"، وأبيانوس "Appianus" كما تردَّد ذكر هذه المدينة في العديد من المرات ضمن أحداث الحرب البونية الثانية (218–201 ق.م) الدائرة بين الرومان وحليفهما ماسينيسا "Massinissa"، والقرطاجيين وحليفهم الملك الماسيسيلي صيفاقس "Syphax"، وبخاصة في سنة203 ق.م، بعدما استولى عليها ماسينيسا "Massinissa"، ونائب القائد الروماني ليليوس "Laelius " عقب المعركة التي دارت بالقرب من أسوارها (Titus Livius 1928: XXX.11,2).

واكتفى المؤرِّخ واليريوس مكسموس "Valerius Maximus"، الذي عاش خلال عهد الإمبراطورتيبيريوس "Tiberius" (14–37م)، بالإشارة إلى ذات المعلومة التي ذكرها بولبيوس "Polybius" في مؤلَّفه أعمال وأقوال مشهورة " Facta et Dicta Memorabilia"، هذهالمعلومة التي مفادها زيارة القائد الروماني بولبيوس سكيبيو "P. Scipio" (لكيرتا) بعد مرور ثلاثة أيام من وفاة الملك ماسينسا "Massinissa"(Valerius Maximus 1997: V.2).

أما بلنيوس القديم "Plinius" (23– 79م)، الذي ضاعت معظم مؤَّلفاته البالغ عددها 102 كتابًا، ولم يصلنا منها سوى تاريخه الطبيعي "Naturalis Historia"، الذي يقع في 37 كتابًا، فهو يشير ضمن الفقرة الثانية والعشرين من الفصل الثالث من الكتاب الخامس من هذا المؤلَّف إلى موقعها الجغرافي بِوَصفِها مدينة داخليَّة، وكذا إلى وضعيتها القانونية والإدارية في ظل الاحتلال الروماني،بِوَصفِها إحدى المستوطنات التابعة لإمارة ستيوس (Colonia Sittianorum)، كما يحدِّد لنا المسافة التي تفصلها عن مستوطنة روسيكاد (Rusicade) سكيكدة حاليا، وبهذا الخصوص كتب يقول "...تقع مستوطنة كيرتا الستيانية داخل أراضي مستوطنات ستيوسعلى بعد ثمانية وأربعين ميلًا من مستوطنة روسيكاد..."(Plinius 1980: V.3,22).

يضاف إلى قائمة هؤلاء الكُتّاب القدامى الذين أشاروا إلى هذه المدينة في كتاباتهم، الجغرافي بومبونيوس ميلا "Pomponius Mela"، الذي عاش خلال عهد الإمبراطور كلوديوس "Claudius" (41–54م)، واكتفى بإعادة الكثير من المعلومات التي وردت عند سابقيه من المؤرِّخين وبخاصة تيتوس ليويوس "Titus Livius"، بحيث يشير في الفقرة الثلاثين من الكتاب الأوَّل من مؤلَّفهالجغرافية "De Chrographia" إلى موقعها الجغرافي الداخلي،وإلى وضعيتها السياسية والإدارية في عهد الملوك النوميديين، ثم في ظل الاحتلال الروماني،وفي هذا الصدد كتب يقول: "... من بين أهم مدن مملكة نوميديا،كيرتا مستوطنة الستياني البعيدة عن البحر، التي كانت فيما مضى المقر الملكي للملك صيفاقس "Syphax"، ثم أصبحت عاصمة للملك "ماسينيسا" وخلفائه من بعده، وكانت جِدّ مزدهرة... " (Pomponius 1988: I.30).

ويعدُّالجغرافي الإغريقي كلوديوس بطليموس "Claudius Ptolemaeus" (100–170م)، وذلك بخلاف سابقيه ولاحقيه من الكُتّاب القدامى، الجغرافي الوحيد الذي زوَّدنا بمعلومة مفادها استقرار قبيلة الكيرتزي "Kirtesii" في هذه المدينة وغيرها من المدن المجاورة، مثل مدينة ميلاف (Milev) ميلة الحالية، وديانا فيتيرانوروم (Diana Veteranorum) عين الزانة الحالية، في الفقرتين السادسة والسابعة من الفصل الثالث من الكتاب الرابع من مؤلَّفه الجغرافية "Geographia" (Ptolemaeus 1901: IV/3, 6-7).

أما المعلومات التي زوَّدنا بها الخطيب الروماني كورنليوس فرونتو "M. Cornelius Fronto" (ولد نحو 100م وعاش خلال القرن الثاني ميلادي) عن هذه المدينة عبر مؤلَّفه الرسائل "Epistulae"، فهي لم تتجاوز تلك الإشارات

المقتضبة التي يذكر عبر إحداها أن كيرتاكانت من بين المناطق التي انهزم فيها الجيش الروماني خلال "حرب يوغرطة" مثلما سيرد ذكرها في إحدى رسائله الموجَّهة إلى الإمبراطور ماركوس أورليوس "Marcus Aurelius" (161–180م) بعنوان الحرب الفارسية "De bello Parthico"، بينما يذكر في رسالته الثانية الموجَّهة إلى الإمبراطور لوكيوس ويروس (161–169م) "Lucius Verus" حادثة حصارها من طرف الملك يوغرطة "Iugurtha"، كما أنه أسهم عبر رسالته إلى أصدقاء "Ad amicos" في تزويدنا باسم شخصين ينتميان إلى فئة سيناتورس "Senatores"، وهما ابنته كورنيليا قراتيا "Cornila Gratia" وصديقه م.بوستميوس فيستوس "M. Postimius Festus"، الذي تولّى منصب القنصلية في سنة 160م في فترة حكم الإمبراطور أونطونينوس التقي "Antoninus Pius" (138–161م) (Frontonis 1988: Ad Verum imp; Ad amicos, II.10).

أما المؤرِّخ الأفريقي بوبليوس أنيوس فلوروس "Publius Annius Florus" (70 – نحو 140م)، الذي اعتمد فيكتابته على مؤلَّفات سالستيوس "Sallustius"، وقيصر"Caesar"، فهو يشير ضمن الفقرة الأولى من الكتاب الثالث من مؤلَّفه "مجمل كل الحروب خلال 700 عام–Epitome Bellorum omnium annorum DCC"، إلى استيلاء القائد الروماني ميتولوس "Metellus" على هذه المدينة في سنة 108 ق.م بعد هزيمته للملك يوغرطة "Iugurtha" وحليفه الملك الموريطاني بوخوس الأول "Bocchus I" بالقرب من أسوارها، كما أنه أطلق على هذه المدينة اسم كيرثا (Cirtha) شأنه في ذلك شأن الجغرافي بطليموس "Ptolemaeus" (Florus 1967: III.1) .

ولما لم يكنأبيانوس "Appianus" (95–165م) قد عاصر هذه الأحداث فقد اعتمد على كتابات سابقيه، مثل: بولبيوس "Polybius"، وسالستيوس "Sallustius"، وتتيوس ليويوس "Titus Livius"؛ ليشير إلى هذه المدينة خمس مرات ضمن مؤلَّفاته، بحيث يذكر في الأولى معلومة مفادها استيلاء الملك ماسينيسا "Massinissa" على (كيرتا) عاصمة الملك الماسيسيلي صيفاقس "Syphax" في سنة 203 ق.م،ضمن كتابه السابع والعشرين من مؤلَّفه التاريخ الروماني "Historiae romanae"، بينما يشير في الكتاب المائة وستة من المؤلَّف نفسِهإلى اعتلاء مكيبسا "Micipsa" الابن الأكبر والمسالم لهذا الملك سُدَّة الحكم بكيرتا العاصمة الملكية(Appianus 1997-2011: Liber 27)، كما يذكرها ثلاث مرات في مؤلَّفه الحروب الأهلية "Bella Civalia"، وذلك عبر الفقرة السادسة والتسعين من الكتاب الثاني التي تضمَّنت حيثيات الاستيلاء عليها من طرف أنصار الديكتاتور يوليوس قيصر"Iulius Caesar"، وهما زعيم جيش المرتزقة ب.ستيوس"P. Sittius" والملك الموريطاني بوخوس الثاني "Bocchus II" بِوَصفِهاعاصمة للملك يوبا الأول "Iuba I"، بينما يتطرَّق عبر الفقرات الثالثة والخمسين والخامسة والخمسين والسادسة والخمسين من الكتاب الرابع للحصار الذي ضربه عليها ليليوس "Laelius" نائب القائد كورنيفيكيوس "Cornificius" بروقنصل مقاطعة أفريقية القديمة في أثناء صراعه مع سكتيوس"Sextius" بروقنصل مقاطعة أفريقية الجديدة،ثم لحادثة فك الحصار عنها(Appianus 2000: IV.53, 55-56).

أماديوكاسيوس كوكيانوس "Cassius Dio Cocceianus" (155–230م)، المعروف خطأ بديون "Dion"، فيشير في مؤلَّفه التاريخ الروماني "Historiae romanae" إلى تحوُّل هذه المدينة إلى مستوطنة رومانية عقب احتلال الرومان لها (Dion Cassius 1995: XLVIII.22).

ويشير المؤرِّخ الليبي أوريليوس ويكتور"Aurelius Victor" (320 أو327م إلى390م)، الذي لا يُستبعد ولادته بمدينة لبتس ماغنا (Leptis Magna) مدينة لبدة الليبية حاليا، عبر مؤلَّفه قياصرة "De Caesaribus" المدوَّن في

عهد الإمبراطور جوليانوس "Julianus" (354–363م) نحو سنة 360 أو361م، إلى تغيير اسم هذه المستوطنة من كيرتا (Cirta) إلى قسطنطينة (Constantina) تيمنا باسم وليّ نعمتها الإمبراطور قسطنطينوس "Constantinus"، الذي أعاد بناءها بعد الخراب والتدمير الذي لحق بها فيأثناء الصراع الحربي الذي نشب بين الإمبراطورينماكسانس "Mascens" (306–312م) وألكسندر دومتيوس "Alexander Domitius" (308–311 م) في سنة 311م (Aurelius 1975: XL.28).

أما المؤرِّخ والكاهن المسيحي الإسباني بولوس أروزيوس "Paulus Orosius" معاصرالقديس أوغسطينوس "Augustinus"، الذي توفي نحو سنة 418م، فلا يذكرها سوى مرَّتين في مؤلَّفه تواريخ ضد الوثنيين " Historiarum libri VII adversuspaganos"، أولاها عندما تمكَّن ماسينيسا "Massinissa". Paul Orose 2003:V,15,10) حليف الرومان من هزيمة الملك الماسيسيلي صيفاقس "Syphax" أمام أسوارها سنة 203 ق.م، ومن الاستيلاء عليها قبل أن يتَّخذها عاصمة لملكه، وفي المرة الثانية حينما استولى عليها القائد الروماني ميتولوس"Metellus" سنة 108 ق.م بعد نجاحه في هزيمة الملك النوميدي يوغرطة "Iugurtha" وحليفه الملك الموريطاني بوخوس الأول "BocchusI"، اللذين كانا يقودان 10000 مقاتل)

واكتفى الكاتب المسيحي ماركوس مينيكيوس فيليكس "Marcus Minucius Felix"، الذي عاش خلال فترة حكم الإمبراطور كراكلا "Caracala" (211–217 م)، بالإشارة إلى اسمحاكم المدينة في ظل الاحتلال الروماني التريومفير كيكليوس نتاليس "Triumvir Caecilius Natalis" (Minicius Felix 1964: 9, 6)، في حين أن دليل رحلة أنطونينوس "Itenerarium Antonini Augusti" (القرن الثالث ميلادي) ولوحة بوتنغر " Tabula Peutingeriana" (نحو 350م) يدرجان اسم هذه المدينة ضمن شبكة طرق مقاطعة نوميديا (Itinerarium Antonini augusti 1845: 1, 17-18; Tabula Peutengeriana 1845: III.3-5)

أما كتابات رجال الدين، مثل مؤلَّفات أسقف قرطاجة تارتليانوس"Tertullianus" (نحو160 – توفي نحو220–225م) (Tertullianus 1961: 7.2, 9-10)، والقديس كايكيليوس كبريانوس"Cyprianus" (نحو200–258م) (Cyprianus 1844: I,XII)، وأوبطاطوس "Optatus" (نحو320–نحو392م) (Optatus 1845 :PL,TX)، وأغسطينوس "Augustinus" (354–430م)، فهي تعرِّفنا الجوانب المرتبطة بالمعتقد، وبخاصة ما يتعلق بالديانة المسيحية، مثل المبادئ التي قام عليها هذا الدين، وتنظيم جهازه الكنسي، والفئات الاجتماعية التي اعتنقته، والاضطهاد التي طال معتنقيه قبل الاعتراف به في سنة 312م، وكذا معرفة تاريخ ظهور الدوناتية بهذه المستوطنة على غرار غيرها من مدن بلاد المغرب القديم المحتلَّة، وانقسام المسيحين بها، إلى فريق موالٍ للكنيسة الكاثوليكية وفريق دوناتي معادٍ لها، غير أننا نشير بخصوص هذا الموضوع إلى ندرة الكتابات الدوناتية التي ضاع معظمها؛ إذ لم تصل منها إلّا بعض المقتطفات من مراسلات الأسقفين الدوناتيين لكيرتا، وهما كريسكونيوس "Cresconius"، وبيتيليانوس "Petilianus"، وردت عبرمؤلَّفين للقديس أوغسطينوس "Augustinus"، أولها الردُّ على كريسكونيوس النحوي والدوناتي " Contra grammaticum et donatistam libri quattuor Cresconium"، الذي ضمَّ أربعة كتب ألَّفها نحو سنة 405–406م، أما الثاني فمؤلَّفه الرد على رسائل بيتيليانوس "Contra litteras Petiliani libri tres"، الذي اشتمل على ثلاثة كتب: (Augustinus 1845a; Augustinus 1845b: I.1,1, I.21,23, II.99, 228; Augustinus 1930: XX.II; Augustinus 1958: Lettre 199; Augustinus 1982: I.13,22; I.16,26).

كما تأتي هذه المصادر لتسلّط بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وإن كانت تلك الأضواء خافتة، على اعتبار أن رجال الدين لم يعيروا للوقائع غير الدينية إلّا اهتمامًا عابرًا، ومع ذلك فإننا نعرف عبر كتابات القديس كبريانوس "Cyprianus" ظاهرة انتشار الملكيات الكبرى نتيجة عمليات الاستيلاء على الأراضي (Cyprianus 1844: I,XII)، وهي ذات المعلومة التي يطلعنا عليها القديسُ أوغسطينوس"Augustinus" عبر مؤلَّفه مدينة الله "De civitate Dei"، وغيرها من الحقائق التي وردت في بقيَّة مؤلَّفاته، مثل الاعترافات "Confessiones"، الذي ضمَّنه حديثًا عن وضعية الحرفيين الذين ساءت أحوالهم كثيرًا في عصره؛ حيثإن أجورهم لم تكن كافية حتى لسدِّ نفقات المعيشة، كما أنهم تعرَّضوا لمضايقات جُباة الضرائب، وهو لم يتوان عبر مؤلَّفه الرسائل "Epistulae" وخطبه الوعظية "Sermones" عن تسليط الضوء على فئة العبيد، ومصادر جلبهم، وبخاصة إسهام الحروب في المناطق الثائرة ببلاد المغرب القديم في توفير عدد هائل منهم، بعدما حوَّلت عددًا كبيرًا منهم من أحرار إلى عبيد (Augustinus 1845c: 124.7; Augustinus 1930: XX,II; Augustinus 1858: letter, 1999; Augustinus 1982: I.13, 22; I.16, 26)

يتَّضح بعد دراسة هذه المصادر أنها هذه الأخيرة وإن كانت تساعدنا على معرفة بعض التطورات السياسية والإدارية التي عرفتهاكيرتاالنوميدية والرومانية، إلّا أنها لا تسمح لنا بمعرفة كيفية نشأتها وتاريخ ظهورها وَهُوِيَّة مؤسسيها؛ ذلك أن أقدم إشارة إليها لا تتجاوز سنة 205ق.م، بِوَصفِها عاصمة ثانية للملك الماسيسيلي صيفاقس "Syphax" مثلما ورد على لسان المؤرِّخ اللاتيني تيتوس ليويوس "Titus Livius" وكُتّاب قدامى وجغرافيين لاحقين، من أمثال:أبيانوس "Appianus"، وبومبنيوس ميلا "Pomponius Mela"، مثلما سبق ذكره، غير أن لهذه المعلومة أهميتها من حيث إنها تؤكِّد الدَّورَ والمكانة التي وصلت إليه هذه المدينة وليس إلى تاريخ ظهورها، هذا من جهة، كما أنها تكشف عن جهل كُتّاب هذه المصادر لتاريخ تأسيسها ونشأتها، وهي مسألة لم تشغل حيِّزًا في كتابات هؤلاء الكُتّاب القدامى والدراسات الحديثة من بعدها.

وتتمثل النتيجة الثانية في أنَّ معلومات هذه المصادر تميَّزت –على قلَّتها– بظاهرة التَّكرار، وبخاصة تلك التي تناولت بعض المعلومات البسيطة حول تاريخ كيرتا النوميدية، فالموضوع الذي يتعرَّض له المصدرُ الواحد يتكرَّر في غيره من المصادر،فضلًا عن أنها اختلفت حول اسمها بين كيرثا (Cirtha)، مثلما وردت عند بطليموس "Ptolemaeus"، وفلورس "Florus"، بقطع النظر أن الجغرافي الأول زار المنطقة، وأن الثاني مؤرِّخ ينحدر من أصل أفريقي،وكيرتا (Cirta) مثلما ذُكرت عند بقية المؤرِّخينوالجغرافيين اللاتين والإغريق الذين سبقت الإشارة إليهم، بل إن هذه المصادر اختلفت حتى حول موقعها؛ إذ يدرجها الجغرافيُّسترابون "Strabon"، وبلينيوس القديم "Plinius" ضمن المدن الداخلية، بينما يعدُّها سالستيوس "Sallustius" من المدن القريبة من البحر،وقد يتعدى هذا التباين حول اسم المدينة وموقعها ليطال صحَّة المعلومة التاريخية،وذلك ما ينطبق على معلومات فرونتو"Fronto"، الذي يذكر لنا أنها كانت من بين المواقع التي انهزم فيها الجيش الروماني خلال حرب "يوغرطة"، غير أن ديزونج "J. Desanges" يعتقدأن الموقع المقصود هو مدينة سوتول (Suthul)، التي شهدت الهزيمة التي مُنِيَ بها جيشُ القنصل الروماني بوستميوس ألبنيوس "Postimius Albinius" سنة 109 ق.م (Sallustius 1989: XXXVII.3, XXXVIII; Desanges 1999: 112)، ونشير بهذا الخصوص إلى أننا نختلف مع هذا الباحث في رأيه،خاصة وأننا لازلنا نجهل الاسم الحديث لهذه المدينة التي هُزم فيها أولوس"Aulus" شقيق هذا القنصل خلال فترة تولّيه قيادة الجيش بصفة مؤقَّتة.

أما النتيجة الثالثة التي توصلنا إليها بخصوص كتابات رجال الدين، فهي وإن كانت تساعدنا على معرفة المبادئ التي قامت عليها المسيحية والشرائح التي اعتنقتها وموقف السلطات الرومانية من حركة التنصر فإنها لا توضِّح تاريخ ظهور هذه الديانة بهذه المستوطنة ولا العوامل التي دفعت أتباعها إلى اعتناقها، كما أنها لا تُعرِّفُنا المبادئ التي قامت عليها الكنيسة الدوناتية بعد ظهور الانشقاق الديني، إلى جانب أنها لا تبيِّنُ كلَّ الأسباب التي أدَّت إلى ظهور الدوناتية، خاصَّة وأنها لا تشير سوى إلى الخلاف الذي ظهر بين رجال الدين، مهملةً بذلك إسهام الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها مجتمع بلاد المغرب القديم بما فيه المجتمع "الكيرتي" في ظل هذا الاحتلال في ظهور هذا الانشقاق.

وهكذا نخلص –مما تقدَّم ذكرُه–إلى صعوبة دراسة التاريخ القديم لكيرتا عمومًا وتاريخ تأسيسها ونشأتها على وجه الخصوص؛ ذلك أننا لا زلنا نجهل تاريخها قبل القرن الثالث قبل الميلاد سنة 205 ق.م؛ نظرًا إلى ندرة المعطيات التي تفيدنا بها المصادر قبل هذا التحقيب، فكلُّ ما وصلنا مجرَّد إشارات لا تُشبعُ فضولَ الباحث المتعطِّش لمعرفة مختلف التطوُّرات التي عرفتها المدينة خلال هذه الحِقبة الزمنية الغابرة، هذا الفراغ التاريخي الذي لا يمكن تفسيره بعدم وجود المدينة أو إلى عدم أهميتها وإنما إلى جملة من العوامل يأتي في مقدِّمتها فقداننا للمصادر الأدبية المحلية البونية والليبية، واعتمادنا بشكل كليٍّ على كتابات الكتاب القدامى الإغريق واللاتين الذين لم يهتمّوا بتاريخ هذه المدينة على غرار باقي المدن المغربية القديمة، إلّا عندما يتعلَّق الأمرُ بحادث تاريخي مهمٍّ له صِلة بتاريخهم.

وإذا ما كان عدم اهتمام هؤلاء المؤرِّخين بهذا الأمر طبيعيًّا نظرًا إلى اهتمامهم بالدرجة الأولى بالأحداث ذات الصِّلة بالتاريخ الروماني، فإننا نتعجَّب للصَّمت الذي يخيِّمُ على كتابات المؤرِّخين الليبيين، مثل أنيوس فلوروس "Annius Florus"، ولوكيوس أبوليوس المدورشي "Lucius Apuleius" (القرن الثاني ميلادي)، و"وكورنيليوس فرونتون الكيرتي"M. Cornelius Fronto"، ومؤلَّفات المؤرِّخ الإغريقي بولبيوس "Polybius"، الذي أُتيحت له زيارة هذه المدينة وهي في أوج تطوُّرها وازدهارها في ظل حكم ملكها ماسينيسا "Massinissa" (203–148 ق.م)، كما أنه كان على اتصال مباشر بهذا الملك، بحيث يذكر في كتاباته أخبارًا سمعها عنه شخصيًّا (Polybius 1970: IX,25).

يرجع عدم توُّفر أية إشارة حول كيرتا النوميدية قبل القرن الثالث ميلادي –بنظرنا– مقارنةً ببعض المدن المغربية القديمة التي ورد ذكرها فيما بين القرنين 4 و 6ق.م عند الكُتّاب والجغرافيين والرَّحالة القدامى، مثل: حانون "Hannon" (القرن السادس قبل الميلاد) (Périple d'Hannon 1855: I.1-2)، وهيكاتوس الميلي "Hécataei Milesii" (550–480 ق.م) (Hécataei Milesii 1806: I.23-25, 299-327) وسكيلاكس "Scylax" (القرن الرابع قبل الميلاد) (Périple de Scylax 1845: 110-111)' ليس لأنَّ هذه المدينة لم تكن موجودة بدليل العثور على بعض القطع الفخارية المستوردة البونية والإغريقية والإيطالية المؤرَّخة بالقرنين الخامس والرابع قبل الميلاد (Gsell 1972: T4152-155; Marçais 1916: 46; Berthier 1980 vol. 16: 24; Berthier 1981: 163-164)، هذه المخلَّفات المادية التي تؤكِّد وجود مجتمع مدني، كما أنها تعكس العلاقات التجارية التي جمعت هؤلاء التجار الأجانب بسكان هذه المنطقة الداخلية، وليس لأنها كانت مدينة بعيدة عن التأثيرات الحضارية المتوسطية آنذاك، أو لأنها تعرَّضت للتخريب، أو أنها كانت مدينة صغيرة أو قليلة الأهمية، وإنما لعدم انتمائها إلى المحطات الفينيقية والقرطاجية التي أسسها التجارُ الفينيقيون ببلاد المغرب القديم.

ولذلك فإننا لا نستبعد أن يكون عددٌ مدن المغرب القديم أكثر بكثير مما أشارت إليه المصادر الإغريقية واللاتنية، وإن الإشارة إلى بعضها دون بعضها الآخر يرجع إلى لغة بعضها التي كانت مستعصية في النطق على الأجنبي، أو

أن موقعها صَعَّبَ الوصول إليها كما هو الحال ربما بالنسبة إلى مدينة (كيرتا)، وإلّا كيف نفسِّر ذكر "سكيلاكسلمدينة "ماكوماداس" (Macomades) مدينة (هنشير المرقب) حاليًّا والواقعة جنوب شرق مدينة كيرتا (Cirta)، وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد (Périple de Scylax 1845: 110-111).

3.إشكالية أصل النشأة والتسمية:

لقد أخذ الكثير من الباحثين منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى في وقتنا الحاضر على عاتقهم محاولة معرفة اسم هذه المدينة والبحث في أصل نشأتها، غير أن اعتماد الأثري الفرنسي أندري برثي "Berthier (A)" على نتائج تنقيباته الأثرية المنجزة بالمدينة فيما بين سنتَي 1950–1960 م:Berthier (Berthier and Charlier 1955; 4 Berthier (1980 vol. 16: 13-26 دَّم نوعًا من التحليل الدقيق عبر الدراسة المتأنِّية المستفيضة لتلك المصادر المادية المختلفة –بقطع النظر عن أننا نختلف معه بخصوص النتائج التي توصَّل إليها–، وحول هذا الموضوع انقسمت آراء المؤرِّخين بين من يرجِّح فرضية أصلها الفينيقي القرطاجي ومن يؤيِّد فرضية الأصل المحلي، وسنحاول عبرهذا العنصر معالجة هذه الإشكالية ونقد أدلَّة هذين الرأيين المتناقضين مع محاولة تقديم طروحات جديدة لهذاالموضوع.

1.3-كيرتا الفينيقية:

يرجع بعض المؤرِّخين،مثل بيليقرا" (A. Pellegrin (Pellegrin 1949: 231-233, 235-236 ومارسي "G. Mercier" (Bosco 1917-1918: 201) وتيبيني "E. Thepenier";(Thepenier 1912 : 236 Thepenier 1927: 272) وبرثي "A. Berthier" (Berthier 1981: 159-177)، الذي كان على اطلاع مباشر بمصادر ماديَّة يعرفها معرفة جيِّدة، توفَّرت له ولم تتوفَّر لغيره،تأسيس مدينة (كيرتا) إلى الفينيقيين اعتمادًا على شواهد مادية مختلفة،مثل المسكوكات والنصب النذرية والقطع الفخارية، وما يمكن استقراؤه من نتائج تاريخية، وهم يفترضون أن هذه المدينة مستوطنة فينيقية، بدليل ما اكتشف بها من آثار بونية وفخار ونصب نذرية بلغ عددها 898 نصبًا وأجزاء نصب (الجدول 1) بمواقع مختلفة في المدينة، مثل موقع (الصخرة)، ومرتفع (الحفرة)، و(كودية عتي)، و(سيدي مسيد)، و(المقبرة الأوربية)، و(المنظر الجميل)، و(المنصورة)، وسيدي مبروك، وحي مزيان (الخريطة 3) جعلتها تتبوَّأ المرتبة الثانية بعد قرطاجة (Carthago) من حيث عدد النصب المكتشفة بها (Berthier and Charlier 1955: 1-8 ،غانم 2003: 173)، ثم بدليل اسمها كيرتا (Cirta)، الذي هو صياغة لاتينية للاسم البوني قرطن"KRTN"، الذي نُقش بكتابة بونية حديثة على وجه القطع النقدية البرونزية التي ضُرِبَت من طرف حكام المدينة (Mazard 1955: 156- 157n, 523-529; Charrier 1912: 40-41)(الشكل 1)، كما هو الشأن في لفظة "قرط" بفتح القاف على غِرار الكثير المدن ذات الأصل الفينيقي التي يبدأ اسمها بهذه اللفظة، مثل: قرطاجة وقرطاجنة الجديدة (Carthago Nova) وتنس (Cartennas) ومعناه المدينة; (Joleaud 1937: 11 Pellegrin 1949: 231; Gsell 1972: T5 274)

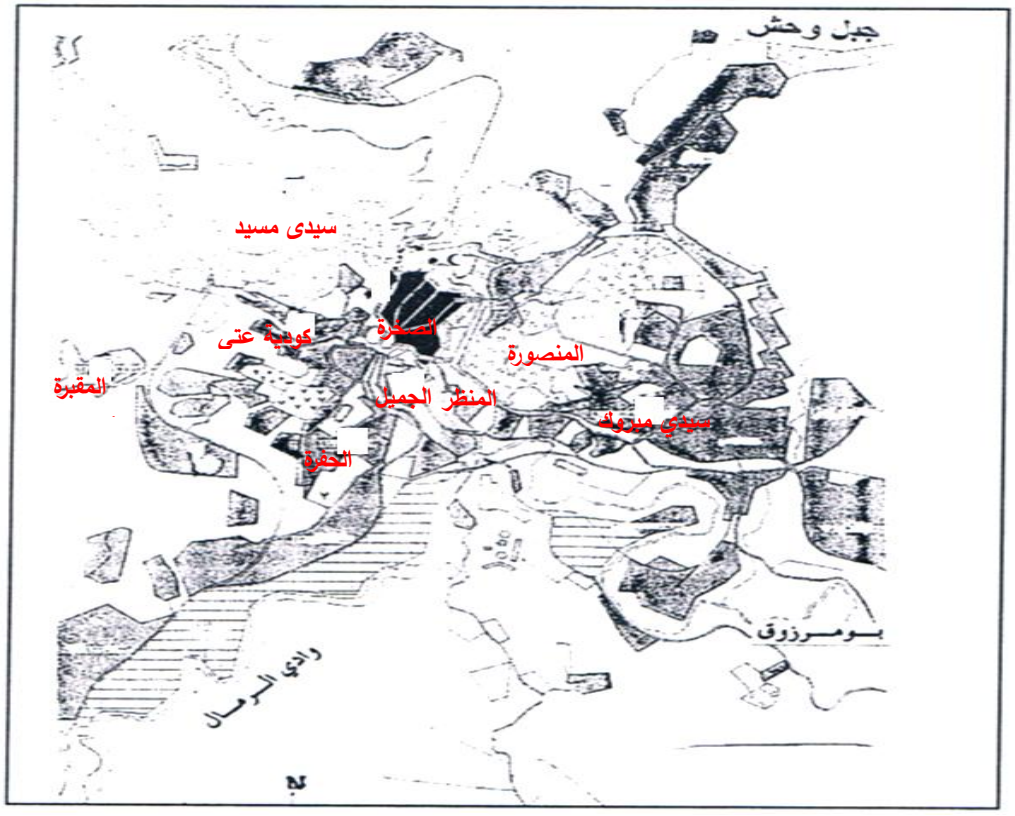

الخريطة 3: مواقع اكتشاف الآثار النوميدية بقسنطينة. (مهنتل مقروس 2011 :77)

الشكل 1: وجه عملة مدينة كيرتا. (Mazard 1955 :156 n 52)

أما شارلي"R. Charlier" ومن قبله بارجر"M.Berjer" فهما يقترحان تسمية أخرى للمدينة غير (كيرتا)، وهي س

رم "SRM" ب ت م "BTM"، التي ذكرت على 13 نقيشة بونية و4 نقوش بونية حديثة للمعبد البوني للحفرة (Berthier and Charlier 1955: 29n2 p IIIA.B.31-32 n29, pl III.B)، وهي مشتقة –بنظرهما– من اسم لمدينتين فينيقيتين، هما (سران –Saran) وسارام (Saram)، كما أنهما يعتقدان أن معنى لفظة "ب ت م" العميقة، و "س ر م" الأبواب وربطا هذا المعنى بخوانق وادي الرمل (Ampsagaflumen) (Berger 1897: 286-288, 292; Charlier (1953)، غير أن هذا الرأي أصبح متجاوزًا لأنه يفتقد للأدلة المادية التي تدعمه، كما أنه يتنافي مع الحقائق التاريخية التي تقرُّ بها المصادر الأدبية (Benyounes 2002: 62).

زيادة على ما تقدَّم، وجب التذكير بأنَّ دراسة لبرثي"A. Berthier" وشارلي "R. Charlier" خلصت إلى مماثلة بين تاريخ ظهور هذه المدينة وتحليل نقيشة نذرية بونية عُثر عليها في المعبد البوني بالحفرة يرجع تاريخها إلى سنة 162 ق.م (Berthier and Charlier 1955: 56 n51 pl. VIII.B)، قلَّصت تلك الهوَّة التي ظلَّت تفصل بين أقدم اللقى الأثرية والمعطيات التاريخية حول المدينة، بحيث يذكر فيها الناذر بد عشتارت "Bodashtart بن ملقارت "Melqart" اسمه واسم والده، ويفترض الباحثان أنَّ بين الأب وابنه 25 سنة، وبين الجد وحفيده فارق سِنٍ يُقَدَّرُ بنحو 50 سنة، وبذلك يكون علم 212 ق.م (162 + 50 = 212) هو التاريخ الذي تواجد فيه أفراد هذه الأسرة بكيرتا، كما توصَّل هذان الباحثان عبر دراسة معطيات النقوش البونية والبونية الحديثة المكتشفة بذات المعبد إلى نتيجة مفادها أن الذين كانوا يشرفون عليه فينيقيون، وأنهم ليسوا من السكان المحليين الذين اعتنقوا الديانة القرطاجية في عهد الملوك النوميديين ماداموا يحملون أسماء بونية موروثة، فضلًا عن اعتناقهم للآلهة البونية وتقديمهم للقرابين البشرية وممارستهم لطقوسهم الجنائزية البونية واتِّباعهم لأنظمتهم الإدارية (Berthier and Charlier 1955: 51, 231).

هذا ونشير بهذا الخصوص إلى أننا استثنيا من هذه الآراء رأي آخر لبرثي "A. Berthier" رأى عبره أن ملوك نوميديا كانوا تابعين للدولة القرطاجية، وأنهم أحرزوا استقلاليتهم بعد مساعدة الرومان لملكهم "ماسينيسا" سنة 203 ق.م، وهو رأي متجاوز لأنه يتناقض مع الحقائق التاريخية التي تقرُّها المصادر الأدبية بنصوص صريحة، وبخاصة مايرتبط بملك الماسيل غايا "Gaia" (218–206 ق.م) والد الملك ماسينيسا،ورأي كامبس "G. Camps" بسبب تناقضه بحيث يشير في كتابه ماسينسيا أوبدايات التاريخ"Massinissa oules débuts de l'histoire "، إلى تأسيس مستوطنة قرطاجية بكيرتا يرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد الميلاد،غير أنه يناقض هذا الرأي لاحقًا ويؤكِّد أنَّ أُصول المدينة محلية(Camps 1961: 121, 255; Berthier 1981: 167).

وهكذا يمكننا أن نلاحظ أنه بالرغم من الحُجج التي يقدِّمها أنصار هذا الرأي الأول المعتمدين على بعض المصادر المادية وتأويل بعض النُّصب البونية والبونية الحديثة وعلى أسماء الأعلام والأماكن، غير أنه لا يمكننا أن نشاطرهم رأيهم لثلاثة أسباب،أولها أننا نرفض القبول بالحُجَّة الأثرية حُجَّةً قاطعة تلزمنا التخلي عن المعطيات التي تقدِّمها المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية التي لا تشير إلى تاريخ تأسيس المدينة، ولا إلى مؤسسيها، ولا إلى تبعية المدينة للفينيقيين وللقرطاجيين من بعدهم، لكنه في المقابل يتأكَّدُعبر المؤرِّخ جوستينوس "Justinus" (القرن الثاني ميلادي) من أن علاقة قرطاجة بالليبيين ترجع إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، التي اتَّضحت عبر تركيبة الجيش القرطاجي الذي وُجِّه إلى صقلية سنة410 ق.م، بحيث ضمَّ مجنَّدين من السكان المحليين (Justinus 1833: XIX.2-4)، ولكن من دون أن تشير إلى إن كانوا مرتزقة أو حلفاء أو نوميدا أو موريين، وإذا ما افترضنا أنه كان من بينهم نوميدا فلا شيء يؤكِّدُ أنهم من (كيرتا).

تشير هذه المصادر –زيادة على ما تقدَّم– إلى تحكُّم القرطاجيين في مواقع مثل توكاي (Tocai) سنة 310 ق.م، التي يعتقد أنها توقا (Thugga) مدينة دوقة الحاليَّة (Diodorus Siculus 1967: XX.17-18)، ومدن محصَّنة، مثل هيكاتوبيلوس (Hecatompylos) سنة 254 ق.م (Polybius 1970: I.73, 1; Gsell 1972: T2,95-96; T3,92; T5,276)، التي يُعتقد أنها تيفست (Thevest) مدينة تبسة الحالية، وسيكا فينيريا (Sicca Veneria) مدينة الكاف الحالية، التي نُقل إليها الجنودُ المرتزقة في نهاية الحرب البونية الأولى سنة 241 ق.م من العاصمة البونية(Polybius 1970: 66,6)، غير أن طبيعة التواجد القرطاجي بهذه المدن لا يزال محلَّ نقاش محتدم بين المؤرِّخين، سواء اعتبرت مناطق دفاعية أوتابعة (بورونية والطاهر1999: 202)، كما أنه لا يمكن إسقاط وضعية كل من (تبسة)، و(دوقة) و(الكاف) على مدينة كيرتا.

ويكمن السبب الثاني في أن هذه المصادر المادية من مسكوكات ونُصب نذرية وقطع فخارية بونيةليس لها علاقة بنشأة المدينة، وهي علاوة على ذلك مؤرَّخة بالفترة النوميدية، ومن ثَمَّ لا يمكن الاستناد عليها لإرجاع تأسيس المدينة إلى الحِقبة الفينيقية القرطاجية، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرىفيمكن تفسير كثافة النُّصب النذرية المكتشفة في المدينة التي جعلت هؤلاء المؤرِّخين يَعُدّنها قرطاجة الثانية، بتوفُّر المادة الأولية بمحاجرها، كما أنها تعكس عدد الناذرين الذين تردَّدوا على المعبد البوني بالحفرة خلال قرنين ونصف من الزمن (203-46 ق.م). وعليه، فإننا لا نستبعد أن يكون هذا المعبد قد استقبل زوارًا من خارج المدينة من المتعبِّدين والتُّجّار والحِرفيين والباحثين عن العمل الذين كانوا يغادرون قراهم متَّجهين نحو هذه المدينة، التي كانت تمثِّلُ بالنسبة إليهم مركزًا تجاريًّا ودينيًّا يقصدُها الجميع لتحقيق مآربهم، وقد كانت هذه المقاصد فرصة مناسبة لتقديم القرابين والنذور (Leschi 1937: 22-23; Camps 1961: 259)، ثمَّ إن هؤلاء الناذرين لا يشكلون سوى جزء قليل من سكان المدينة الذين يفترض "غزال–St. Gsell" أنَّ عددهم تراوح في عهد الملك "مكيبسا" مابين 150– 160 ألف نسمة (Gsell 1972: T5,136)، استنادًا إلى الجغرافي سترابون"Strabon"، الذي يفيدنا بمعلومات مفادها "أن كيرتا كانت تمتلك في فترة حكم الملك "مكيبسا" 10 آلاف فارس و20 ألفًا من المشاة"(Strabon 2014: XVII,3,13).

إن دلالات أسماء الأماكن والأعلام أو مؤشِّرات التأثير الإداري واللُّغوي لا تمثِّلُ مبرّرًا مقنعًا للبتِّ في هُوِيَّة المدينة وأصلها؛ لأنَّ الأسماء الفينيقية القليلة للمواقع الداخلية، ومن بينها كيرتا، لا تكفى لتأكيد تبعيتها لقرطاجة، ولكنها تفسّر إما بتبنّي السكان المحليين لهذه التسميات من منطلق تأثُّرهم بالحضارة البونية كحالة مدينة ماكوماداس (Macomades)، التي هي صياغة لاتينية لاسم بوني مقوم حدشت "Macomhadasht" بمعنى المركز الجديد أو نتيجة لإضفاء القرطاجيين لتسميات فينيقية على مواقع محلية (شنيتي2003 :45؛ بورونية والطاهر1999:202 ؛ : Gsell 1972TII256)

ونؤكِّدُ، زيادة على ما تقدَّمذكره، أنَّ أسماء الأعلام البونية التي تظهر على نُصب المعبد البوني ليست كلها أسماء موروثة كما ذهب إلى ذلك برثيي "A. Berthier"، وإنما هي أسماء مستوحاة من أسماء المعبودات البونية، وهي تبين نوعية الرابطة التي كانت تربط بين المعبود وحامل الاسم، كما أنها تعكس الدور الكبير للدين في تبني الأفراد لأسماء أجنبية عنهم، مثلما نستخلصه من نُصب المعبد البوني بالحفرة التي تفيدنا بـ463 اسمًا بونيًّا من بينها 225 اسمًا مستوحى من أسماء لمعبودات، كما هو مبيَّنٌ في الشكل 2، ولميقتصر شيوع هذا الأمر على السكان المحليين وإنما تعداه ليشمل أفراد الجالية الإغريقية والإيطالية المقيمة في المدينة التي تبنى أحفادها أسماء بونية دينية، هذا من جهة،

ومن جهة أخرى فإن الاستناد على أسماء الأعلام للبتِّ في هُوِيَّة المدن هو –في نظرنا– ليس بمؤشِّر دقيق؛ ذلك أن نصب المعبد البوني للحفرة زوَّدتنا في المقابل أيضًا بـ26 اسمًا ليبيًّا فقط و22 اسمًا إغريقيًّا و15 اسمًا إيطاليًّا من بين 530 اسم علم(Berthier 1955; Sznycer and Bertrandy 1987)، فهل يعقل أن يكون العنصرُ المحليُّ في عاصمة المملكة النوميدية التي اتُّخِذَت مقرًّا للحكم الملكي منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد (205 ق.م) مقاربًا لعدد جاليتها الأجنبية التي تأكَّد وجودُها بعد سقوط قرطاجة 146 ق.م؟

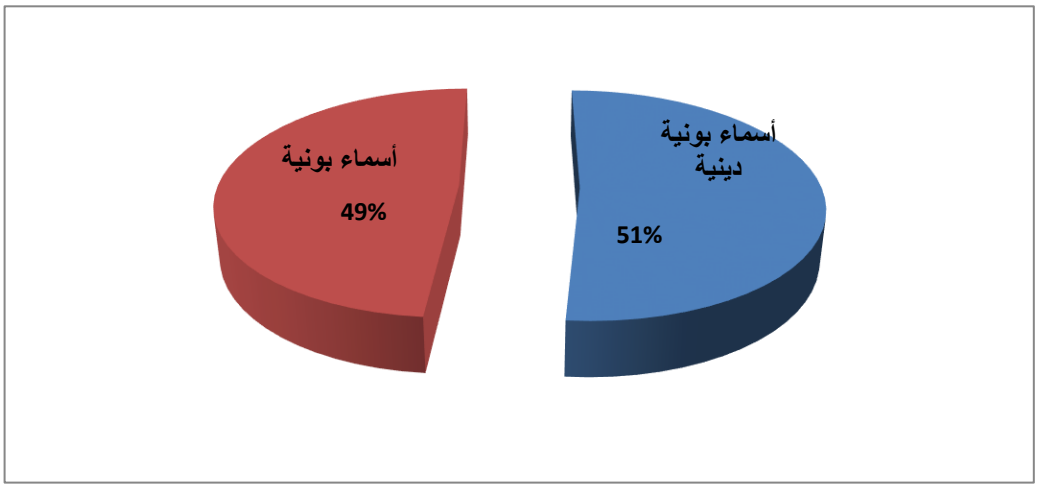

الشكل 2: أسماء الإعلام البونية عبر نُصب المعبد البوني بالحفرة (من إنجاز الباحثة).

وهكذا نخلص إلى أن مؤشِّر استيعاب التنظيم الإداري واللغة والديانة البونية أهم معالم التواصل بين السكان المحليين وقرطاجة وليس دليلًا على تبعية أو استيطان، ومما لا شكَّ فيه أن مشاركة السكان المحليين في الحملات القرطاجية منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد أسهم في انفتاحهم على أنماط عيش وثقافات متنوعة، وتبنيهم لمظاهر حضارية جديدة عند عودتهم إلى مواطنهم (بورونية والطاهر1999: 210)، زيادة على ارتباط قادة النوميديين الأوائل بقرطاجة وتأثرهم بالحضارة البونية، وذلك منذ النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، فبحسب شهادة بولبيوس"Polybius" (Polybius 1970: I,78,9; 84,4)، فإن أشهر قادتها نارافاس"Naravas" كان دائمًا مواليًا للقرطاجيين على غِرار أبيه، بحيث انضمَّ رفقةَ 2000 فارس إلى قائد الجيش القرطاجي "عبد ملقرط البرقي" في حربه ضد الجنود المرتزقة، كما يُستخلص عبر نقيشة توقا (Thugga) المؤرَّخة في سنة 139ق.م أن زيلالسن "Zilalsan" جدَّ الملك "ماسينيسا" كان شفطًا (Reboud 1870: 45 pl. XVIII)؛ مما يؤكِّدُ تبني النوميديين للنموذج الإداري القرطاجي منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد على الأقل، فضلًا عن الدَّور الكبير الذي أدَّتهُ مؤسَّسةُ المعبد التي لم تكن مكانًا لإقامة الطقوس الدينية فقط بل إنها كانت –إلى جانب ذلك– تُستَخدَمُفي الأساس لخلق مجال للثقة المتبادلة مع السكان المحليين(العزيفي2007: 234).

ولا ننسى تشجيع الملوك النوميديين لاحقًا على نشر هذه الحضارة بين السكان المحليين الذين كانوا يَتَسَمَّونَ بأسماء بونية ويمارسون شعائرهم الدينية ويستعملون لغتهم وكتابتهم، وأوضح دليل على ذلك أنَّ اللغة البونية كانت اللغة الرسمية للمملكة النوميدية؛ إذ ضربت بها النقود ونقشت في النقوش التذكارية والجنائزية ولم تستعمل الليبية إلى جانبها، ومن ثمَّ

فالنُّصب التي عُثر عليها في المعبد البوني هي في الواقع لليبيين النوميديين دون أن نستبعد وجود عناصرفينيقية وأخرى مختلطة (شنتيي 2003 :44). وفي هذا السياق يؤكِّدُ المؤرِّخُ الفرنسي غبريال كامبس"Camps G." ازدهار الحضارة البونية في مدينة فولوبيليس (Volubilis) وليلي الحالية بالمملكة المورية التي لم تكن أبدًا تابعة لقرطاجة (Camps 1961:164-165).

2.3. كيرتا المحليَّة:

يجمع أصحابُ الرأي الثانيومن بينهمبارجر"M. Berjer" (Berger 1897: 286-292)، وشاربونو" A. Cherbonneau" (Cherbonneau 1853: 102) وبارترانـدي "F. Bertrandy" (Bertrandy 1994: 1970)على أصل (كيرتا) المحلي،وهم يعتبرون أن اسم كرتن (KRTN) الذي نقش على القطع النقدية التي ضربتها المدينة Mazard) (523-529 156-157n :1955بكسر الكاف أو بفتحها بحسب "غزال–St.Gsell" مشتق من اللغة الليبية القديمة، ويحمل معنًى لا زلنا نجهله وهو يختلف عن لفظة "قرطن" الفينيقية بفتح القاف باستثناء رأي شاربونو" A. Cherbonneau"، الذي يعتقد أنمدلولها في اللغة النوميديةيعني الصخرة المنعزلة (Cherbonneau 1853: 102)، ونشير بخصوص هذا الرأي إلى أنه يصعب علينا الأخذ بهلأننا نفتقد للأدلة التي تبرهن على صحَّته، خاصة وأن معرفتنا باللغة الليبية القديمة مازالت محدودةً حتى وقتنا الحاضر(شنيتي43:2003)، بينما ربط بعضُهم الآخر، مثل جولو" M. Joleaud"، وليشي"L. Leschi"، وبارترانـدي "F. Bertrandy" و"محمد البشير شنيتي"، و"محمد الصغير غانم" نشأة المدينة بخلفيتها التاريخية على اعتبار أن هذه المدينة أسست في منطقة استقرار بشرية قديمة ترجع إلى العصور الحجرية، وذلك منذ العصر الحجري القديم الأسفل مثلما تؤكده المخلَّفات المادية المكتشفة بالمدينةمن جهة (الخريطة 2) (Laplace-Jauretche 1956 vol. 53 no. 3-4: 215-216; Debruge 1908: 117-148; Debruge 1909: 813-822; Debruge 1912: 219-229; Debruge 1915: 179-180; Debruge 1916: 9-23)، وبالنظر إلى طبيعة موقعها الجغرافي الذي اختاره السكان المحليون مكانًا لاستقرارهم لتوفُّره على شروط المناعة الطبيعة ووجود المياه والأراضي الزراعية من جهة أخرى، كما أكَّد هؤلاء الباحثون أن الفينيقيين اهتموا بإنشاء مستوطناتهم على الساحل لاتِّخاذها مرافئ ينزلون بها أو مراكز لتجميع البضاعة أو مبادلتها مع السكان المحليين، وذلك بخلاف مدينة كيرتا التي تبعد عن البحر 81 كلم، ولا يمكن للفينيقيين اختراقها بسبب موقعها الطبيعي المنيع، فضلًا عن موقعها الذي لا يوجد ما يماثله من مواقع المدن الفينيقية الساحلية، سواء ما هو موجود في الساحل السوري أو المغربي شنيتي 2003: 44–45؛ Joleaud 1937: 14-15; Leschi 1937: 23; Leschi 1952: 72 ؛غانم 2003: 156). ويمكننا أن نضيف إلى هذهالآراء آراء ضمنيةأخرى تشيربطريقة غير مباشرة إلى هُوِيَّة المدينة المحلية،مثل رأيشارل فار"Ch. Vars"، الذي ذكر في معرض حديثه عن انتشار عبادة الإله القرطاجي بعل حامون"Baal Hammon"، أن هذه المدينة العريقة كانت تربطها علاقات سياسية واقتصادية مع الإمبراطورية القرطاجية، ورأي بول ألبرت فيفري"Février P.A "،الذي لمَّح فيه إلى محلية المدينة عبر نفيه لاستقرار جالية فينيقية بها، وتأكيده أن سكانها الليبيين هم من تبنّوا الثقافة البونية (Vars 1894: 512; Février 1967: 94).

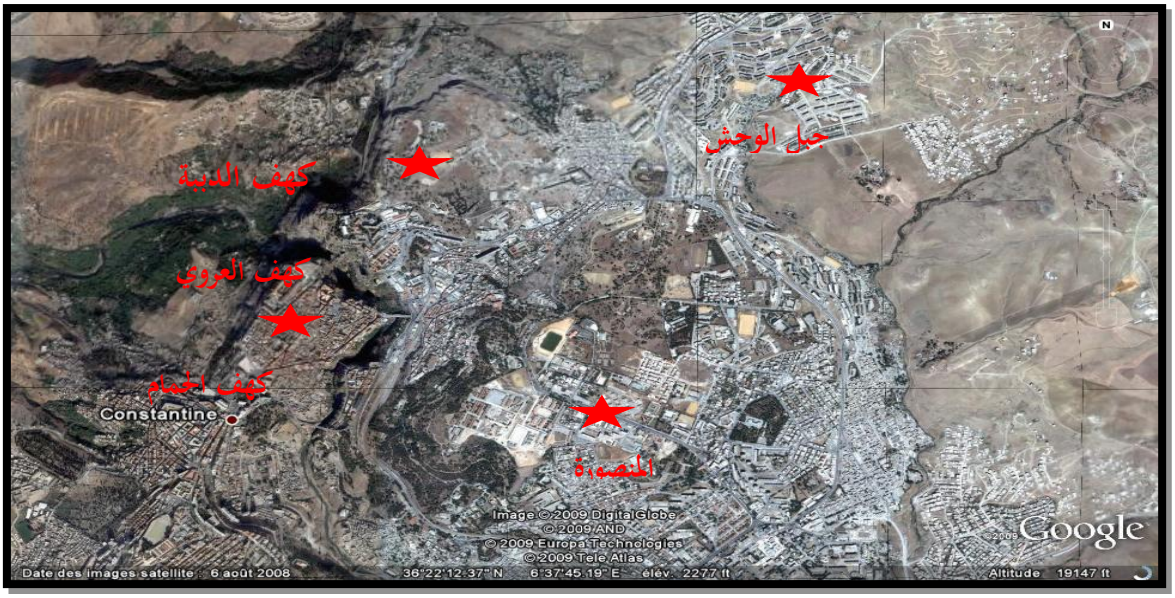

الخريطة 2: مواقع ما قبل التاريخبقسنطينة. (Bahra 2009:1)

نستنتج عبر قراءتنا لمختلف المصادر الأدبية والمادية واستعراضنا لمختلف الفرضيات التي تطرَّقت إلى إشكالية أصل اسم مدينة كيرتا، أن اسم المدينة "كرتن"، الذي نقش بالحروف البونية على القطع النقدية المكتشفة بها، ولا يزال أصله ومعناه محل تضاربت بين المؤرِّخين، ليس اسمًا بونيًّا، إنما هو من دون شك اسم ليبي محلي مشتق من اسم قبيلة الكيرتيزي "Kirtesii"، التي أشار إليها الجغرافي الإغريقي بطليموس"Ptolemaeus" منذ القرن الثاني ميلادي بِعَدِّها من القبائل المستقرَّة في المدينة،كما انتشرت مضاربها بميلاف (Milev) ميلة الحالية وديانا فيتيرانوروم (Diana Veteranorum) عين الزانة الحالية(Ptolemaeus 1901: IV,3, 6- 7; Desanges 1962: 101)؛ وذلك بسبب التقارب الواضح بين اسم المدينة كرتن (KRTN) بكسر الكافواسم هذه القبيلة، ولهذا فإننا لا نستبعد أن تكون هذه المدينة منذ نشأنها الأولى قد حملت اسم القبيلة التي استقرَّت بها، هذه القبيلة المغيبة التي لم يُشَر إليهالا تلميحًا أو تصريحًا في كل الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ المدينة في جزئياته وعموماته وعلى اختلاف الحِقب التاريخية القديمة المدروسة –ولسنا ندري إن كان هذا عمدًا أو بدون قصد– ونستثني من ذلك المؤرِّخ الفرنسي ديزونج " J. Desanges"، الذي يشير إليها في مؤلَّفه الذي يرتبط في الأساس بتاريخ قبائل بلاد المغرب القديم، وتضمَّن تعليقًا ربط اسم هذه القبيلة ببعض الكنيات العِرقية لبعض المجنَّدين في صفوف الجيش الروماني، غيرَ أن ما شدَّ انتباهنا بهذا الخصوص عدم إدراج برتارندي"F. Bertrandy" لاسم هذه القبيلة ضمن قبائل الكنفدرالية الكيرتية، وهو الذي أشار إلى قبائل مجاورة لها، مثل قبيلة النباتراي "Nabathrae" وغيرهامن القبائلعلى غرار قبيلة النيسيفيس"Nicives"، والسوبوربوراس "Suburbures"(Desanges 1962: 101; Bertrandy 2005: 103)

لم تبخل علينا المخلَّفات الأثرية بما نزكي به موضوع الأصل المحلي لمدينة كيرتا، فعلى الرغم من أن تأسيسها اقترن لدى أصحاب التيار الأول بقدوم الفينيقيين فإن العثور على أدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجري القديم بالمنصورة جعلت من هذه المدينة أولى المواقع التي عرفت الاستقرار البشري ليس فقط بالجزائر وإنما بشمال أفريقيَّة كلها (Chaid–Saoudi et al. 2006: 2,5, 964)، كما أن العثور على كمية كبيرة لأجزاء آنية فخارية مختلفة ذات

أشكال وأحجام وألوان متباينة ترجع إلى العصر الحجري الحديث فضلًا عن الأدوات المعدنية البرونزية بأقدم الطبقات الأثرية بمواقع المدينة بكهف (الدببة) وكهف العروي وكهف الحمام (Debruge 1908:130-135,139; Debruge 1909: 817-818; Debruge 1916: 18, 22)ينهض دليلًا على نشأة نواة المدينة الأولى التي يرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث واستمرارها خلال فجر التاريخ، كما يؤكِّدُ من ناحية أخرى أن هذه المواقع عرفت استقرارا سكانيًّا محليًّا قبل نزول الفينيقيين بسواحل البحر المتوسط بوقت طويل، وأن سكانها قد كوَّنوا جماعاتٍ وعشائرَ متعدِّدةً استقرَّت بموقع (الصَّخرة) لتوفُّره على الشروط الملائمة التي سبقت الإشارة إليها، وبذلك شكَّلت نواة القرية ثمَّ المدينة.

نعتقد أن ظهور هذه المدينة فجأة في المصادر الإغريقية واللاتنية على حدٍّ سواء في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد لايعني بالضرورة أنها وليدة هذه الفترة، ويمكننا أن نفترض أنَّ أصولها تمتدُّ إلى أبعد من ذلك وربما إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ حيث كشفت التنقيبات الأثرية التي أُجريت في العديد من أحياء المدينة بكهف الحمام وكودية عتي وسيدي مسيد عنعدد من القطع الفخارية المستوردة البونية المؤرَّخة في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد (Gsell 1972: TIV, 152-155)والإغريقية والإيطالية التي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد (Berthier 1981: 163-164).

تعدُّ هذه المخلفات المادية شاهدًا على وجود مجتمع مدني يرجع إلى هذه الفترة، كما تعكس العلاقات التجارية التي جمعت التجار الأجانب بسكان هذه المنطقة الداخلية. ويُجهل إن كان هؤلاء التجار قد وصلوا في تلك الفترة المبكِّرة إلى المنطقة، وفي انتظار ما ستكشف عنه المعطيات الأثرية يفترض تعرُّف السكان المحليين هذه السلع عن طريق التجار القرطاجيين الذين باعوا سلعهم كالخزف ومختلف السوائل المنقولة في الجرار الكبيرة مقابل الحبوب والمنتجات الأخرى المتوفرة بالموقع، ومما يدلُّ على مدى أهمية النشاط التجاري مانعكو الذي عرفته المنطقة آنذاك تلك القطعة النقدية الأترورية التي عُثر عليها في المدينة، وهي تحمل صورة ليسيماك"Lysimaque" ملك تراقيا (324 ق.م . 282 ق.م) (Hinglais 1904: 207n3800).

ومما لاشكَّ فيه أن هذه المدينة المتَّصفة بأهميتها موقعها الجغرافي الممتاز، وبحكم قربها من قرطاجة التي أصبحت عاصمة للإمبراطورية القرطاجية منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد، قد تحوَّلت في تاريخ لازلنا نجهله إلى دور الوسيط التجاري وإلى إحدى نقاط الالتقاء بين السكان المحليين وبين التجار

القرطاجيين بفضلالتغيُّراتالتي عرفتها خطوط التجارة الصحراوية خلال القرن الرابع قبل الميلاد وربماقبله (أكرير 2005: 141، 157)، وبفضل صلتها المباشرة بإحدى أهم قبائل الصحراء آنذاك، ألا وهي القبائل "الفاروزية"،التي أدَّت دورَالوسيط والحامي لهذه التجارة في الوقت ذاته، بحيث أصبح تجارُ هذه القبيلة يزوِّدن هذه المدينة بالبضائع القادمة من تلك البلاد البعيدة كالعاج والحيوانات، مثل الأسود والنمور والنعام والفيلة التي تكفل بنقلها تجار القوافل مثلما نستخلصه من نص "سترابون–Strabon" يذكر فيه "أنَّ هاته القبائل كانت تجتاز الصحراء حاملة معها قربًا مملوءة بالماء بأسفل بطون أحصنتها قاصدة مدينةكيرتا"((Strabon 2014: XVII,3,7).

خاتمة:

أخذت هذه الدراسة على عاتقها محاولة البحث في نشأة مدينة كيرتاعاصمة المملكة النوميدية على ضوء المصادر الأدبية والمادية والدراسات الحديثة عمومًا،وآراء المؤرِّخ الفرنسي أندري برثي"A. Berthier" على وجه الخصوص، وقد

خلصت إلى جملة من النتائج نختزلها فيما يأتي:

- تتبني معرفتنا حول أصل نشأة المدينة على مجرَّد فرضيات بسببانعدام نصوص مصدرية صريحة سواء تعلَّق الأمر بالمصادر المادية أو الأدبية على حدٍّ سواء، ذلك أنَّ المعطيات التي تقدمها هذه المصادرحول المدينة لا تشير إلى زمن تأسيسها، ولا إلى هُوِيَّة مؤسِّسيها، وربما هذا الأمر يفسِّر لناصعوبة تناول هذا الموضوع في الوقت الراهن وانقسام الدراسات الأكاديمية الحديثة بشأنهبين فريق يزكي الأصل الفينيقي القرطاجي للمدينة وفريق يميل لدعم فرضية منشئها المحلي.
- أن الأثري الفرنسي أندري برثي "A. Berthier"، الذي كان على اطلاع مباشر بمصادر مادية يعرفها معرفة جيِّدة، توفَّرت له ولم تتوفَّر لغيره،وإن كان قد ابتعد نوعًا ما عن دراسات سابقيه من الباحثين الذين كانت آراؤهم محتشمة بشأن هذا الموضوع، ذلك أنه خصَّص فصلًا كاملًا من مؤلَّفه "نوميديا روما والمغرب– La Numidie Rome et le Maghreb" الصادر في سنة 1981م، حمل عنوان " قسنطينة، المدينة الفينيقية"لم يتوان فيه عن تأكيد الأصول الفينيقية للمدينة، مدعِّمًا رأيها بنتائج التنقيبات التي توصَّل إليها، وعبر استقرائه للشواهد المادية المكتشفة بمختلف أحياء قسنطينة من مسكوكات، ونصب، وقطع فخارية، وكذا عبر حمل سكانها لأسماء بونية، واعتناقهم للمعبودات الفينيقية القرطاجية، وممارستهم لطقوسهم الجنائزية، واتِّباعهم للأنظمتهم الإدارية، غير أنحُججهالمقدَّمة تتنافي مع الحقائق التاريخية التي تقرُّها المصادر الأدبية، كما أن تواريخ الشواهد المادية المكتشفة في المدينة لا تدعم فرضياته؛ لأنها لا تتجاوز في أحس الأحوال نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، ومن ثَمَّ لا يمكن الاعتماد عليها لتأكيد الأصول الفينيقية لكيرتا.
- أن عملهذا الباحث كان بالضرورة وقبل كل شيء تأريخًا ينطلق من تفسير نشأة المدينة بفعل التأثيرات الخارجية دون مراعاة دور المؤثِّرات الداخليَّة. وعليه،فإن التفكير في إعداد تصوُّر متكامل حول أصل ونشأة هذه المدينة يستوجب له مراعاة التأثيرات المحليَّة أيضًا، ولا نكتب التاريخ انطلاقًا فقط من التأثيرات الخارجية.
- وهكذا نخلص إلى أنه صحيح قد جرى الوقوف بكيرتا على مظاهر حضارية بونية تجسَّدت في التنظيم الإداري وفي اللغة والمعتقدات وعبر أسماء الأعلام، غير أنها ليست دليلًا كافيًا لتأكيد نشأتها الفينيقية؛ لأنَّ ذلك غالبًا ما يكون مجرَّد تأثير بوني في هذه المجالات، كما أنَّ هذا لا ينفي أصلها المحلي، خاصة وأنها بقيت منفتحة على مختلف حضارات حوض البحر المتوسط.

The Foundation of Cirta (Modern-Day Constantine in Algeria) as the Capital of the Numedian Kingdom (205-46 BC)

Khaldia Madhoui*

ABSTRACT

Since the mid-19th century up to the present, many researchers have tried to determine the history of the founding of the city of Cirta (present-day Constantine in Algeria), investigating the origin of its establishment and naming. Opinions have been divided between those who favor a Phoenician-Carthaginian origin and those who support a local origin. However, the French archaeologist A. Berthier, relying on the results of his archaeological excavations in the city between 1950 and 1960, has provided a thorough and careful study of that material evidence, even though we disagree with him concerning the conclusions he reached. Through this study, we aim to address this issue, critique the evidence of these two opposing views, and attempt to present new proposals, relying on archaeological excavation reports and the information provided by literary texts, while trying to correlate the content of this material with the material data.

Keywords: *Cirta, Numedian Kingdom, Constantine City, Algeria*.

* Mascara University, Mustapha Stambouli, Algeria, madhouik@yahoo.fr

Received on 22/4/2024 and accepted for publication on 8/9/2024.

المصادر والمراجع العربية

أكرير ،عبد العزيز (2005)؛ "التجارة الصحراوية خلال القرنين 6 – 5 ق.م: الطرق والسلع". *أعمال ندوة تكريم الأستاذة زينب عواد: التاريخ القديم، قضايا وأبحاث*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق– جامعة الحسن الثاني والجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب،141–165.

بنحيون، ماجدة (2005)؛ "حول تأسيس المدن بالمغرب القديم". *أعمال ندوة تكريم الأستاذة زينب عواد: التاريخ القديم، قضايا وأبحاث*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق– جامعة الحسن الثاني والجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 43–58.

بورونية، الشاذلي والطاهر، محمد (1999)؛ *قرطاجة البونية*، تونس: مركز النشر الجامعي.

خضر ،عادل أنور (2012)؛ *أطلس تاريخ الجزائر*، بيروت: دار الشرق العربي.

شنيتي، محمد البشير (2003)؛ *أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات* ،الجزائر: دارالحكمة.

العروق، محمد الهادي (1984)؛ *مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية المدن*،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

العزيفي، محمد رضوان (2007)؛ "الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في عملية التوسع الفينيقي". في كتاب: *أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته تكريم الأستاذ المصطفى مولاي الرشيد*، الرباط: مكتبة دار السلام للطباعة والنشر، 224–266.

العميم، محمد (1990)؛ "إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا"، في كتاب: *المدينة في تاريخ المغرب العربي*، أشغال الندوة المنظمة بكلية الآداب ابن أمسيك جامعة الحسن الثاني من 24 إلى 26 نوفمبر 1988، الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب ابن أمسيك،61–69.

غانم،محمد الصغير (2003)؛ *المملكة النوميدية والحضارة البونية*، الجزائر: دار الهدى.

منصوري، خديجة (2006)؛ "ماسكولا Mascula (خنشلة) في الفترة الرومانية". *مجلة الحوار الفكري*، مج8، ع8، 150-167.

مهنتل مقروس، جهيدة (2011)؛ *حاضرة قسنطينة كيرتا النوميدية الرومانية*، الجزائر: دار الهدى.

REFERENCES

Akrir, A. (2005); "Saharan trade during the 6th–5th centuries BC: roads and goods, ancient History". In: *Proceedings of the symposium honoring Professor Zainab Awad: Ancient History, Issues and Research*, Faculty of Arts and Humanities, Ain Chock, Hassan II University and the Moroccan Association for Historical Research, Morocco, Pp.: 141–165.

al-'Amīm, M. (1990); "Le problème de l'origine de Médine en Afrique du Nord", *Colloque sur Médine dans l'Histoire du Maghreb, 24–26 novembre 1988*, Casablanca: Publications de la Faculté des Lettres, Ibn Amsik, Pp.: 61–69.

al-'Arūq, M. (1984); *The City of Constantine, a Study in the Geography of Cities*, Algeria: Office of University Publications.

al-'Azifī, M. R. (2007); "Le rôle économique de l'institution du temple dans le processus d'expansion phénicienne". In: *Nouveaux éclairages sur l'histoire et la civilisation de l'Afrique du Nord ancienne*, Rabat Bibliothèque de Dar es Salaam, Pp. : 224–266.

Anonyme (1858-1859); "Découvertes de stèles numidiques". *R.S.A.C.*, T.4, P. 214.

Appianus (1997-2011); *Histoire romaine*, édition traduit par D. Goukouwsky and E. Gaillard, Paris: C.U.F

Appianus (2000); *Les guerres civiles à Rome*, traduction de Torrens Ph., Paris: les belles lettres.

Arguel, M. (1876–1877); "Catalogue du musée archéologique de Constantine". *Recueil des notices de la Société Archéologique de Département Constantine (=R.S.A.C.)*, vol. 18, Pp.: 1–307.

Augustinus (1930); *La Cité de dieu*, Gabriel Vidal ed.,Arras:Librairie Baunet.

Augustinus (1845a); *Contra Cresconium grammaticum patris donati*, (Patrologie latine = PL), XLIII, Paris , édition Migne.

Augustinus (1845b); *Contra litteras Petiliani*, I,1,1, I,21,23,II,99,228 , PL, XLIII, Paris: edition Migne.

Augustinus (1845c); *Enarratio in psalmum*, PL,XLIII. Paris :éditions Migne.

Augustinus (1858); *Les lettres,traduites en français et précédées d'une introduction par M. Poujoula*, Paris: Librairie liturgique – catholique.

Augustinus (1982); *Confession*, traduction de L. Mondadon, Paris: Editions de Flore.

Aurelius, Victor (1975); *De Caesaribus, texte établi et traduit par P.Dufraigne*, Paris: Les belles Lettres.

Bahra, N. (2009); "La préhistoire de rocher de Constantine: données et problèmes". *Premier Forum National sur les ruines de Cirta, capitale du monde antique*, 18–19 mai, Ain Melilla, Oum El Bouaghi (en arabe) (intervention non publiée), Pp.: 13–46.

Benḥayūn, M. (2005); "About the Founding of Cities in Ancient Morocco", In: *Proceedings of the symposium honoring Professor Zainab Awad: Ancient history, Issues and Research*, Faculty of Arts and Humanities, Ain Chock, Hassan II University and the Moroccan Association for Historical Research, Morocco, Pp.: 43–85.

Benyounes, A. K. (2002); *La présence punique en pays Numide*, Tunis: institut national du patrimoine.

Berger, M. (1897); "Les inscriptions de Constantine du musée du Louvre". In: Actes du onzième Congrès du orientalistes, Egypte et langues africaines, Orient, Grèce, Byzance, vol. 11, Pp.: 273–294, Paris: E. Leroux.

Berthier, A. (1980); "Un quartier d'habitat punique à Constantine". *Antiquités Africaines*, vol. 16, Pp.: 3–26.

Berthier, A. (1981); *La Numidie Rome et le Maghreb*, Paris: Picard.

Berthier, A. and Charlier, R. (1955); *Le Sanctuaire Punique d'El Hofra à Constantine*, vol. 1, Paris: Ars et Métiers Graphiques.

Bertrandy, F. (1994); "Cirta".*Encyclopédie Berbère*, Maison de la Méditerranée- LAPMO, fasc. XIII, document C71, Aix-en Province, Edisud, Pp. 1964–1977.

Bertrandy, F. (2005); "La Confédération Cirtéenne". des flaviens à Gallien et la Numidie Cirtéennedans l'Antiquité tardive (69–439), dans Histoire ancienne, questions d'histoire, l'Afrique romaine, Paris, édition du temps.

Boronia, Sh. and al-Ṭāhir, M. (1999); *Punic Carthage*, Tunisia: University Publishing Center.

Bosco, J. (1911); "Notice sur trois inscriptions tumulaires sémitiques inédites de Constantine". *R.S.A.C.*,T. 45, Pp.: 411–418.

Bosco, J. (1912a); "Stèle votive punique d'El-Hofra". *R.S.A.C.*,T. 46, Pp.: 240–248.

Bosco, J. (1912b); "A propos d'une inscription phénicienne du Coudiataty". *Bulletin de l'académie d'Hippone*.,T. 13, Pp.: 211–216.

Bosco, J. (1917–1918); "Toponymie Phénicienne Sur le préfixe G I, LAM, RVS et SVB de certaines localités de l'Atrique du Nord". *R.S.A.C.*, vol. 51, Pp.: 81–203.

Bouchareb, A. (2006); *Cirta ou le substratum urbain de Constantine, la région , La ville et l'architecture dans l'antiquité*.Thèse de doctorat d'état en urbanisme, université Mentouri, Constantine.

Caesar, B. (1997*); La guerre d'Afrique, texte établi et traduit par A. Bouvet*, corrigé et commenté par J. C. Richard, Paris: Les belles lettres.

Cahen, A. (1878); "Inscriptions Puniques et Néo–puniques de Constantine (El-Hofra)". *R.S.A.C.*, T. 19, Pp.: 252–284.

Camps, G. (1961); Aux Origines de la Barbérie: *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, Alger: Imprimerie officielle.

Chaid–Saoudi, Y.; Geraads, D. and Raynal, J. P. (2006); "La faune du site pléistocène inférieur de Mansourah (Constantine, Algérie)" et l'industrie lithique, comptes rendus Pal, vol 5.

Charlier, R. (1953); "Les stèles puniques de Constantine et la question des sacrifices dits molchomor" en relation avec l'expression "BSRMBTM", *Karthago*, T. 4, Pp.: 1–48.

Charrier, L. (1912); *Description des monnaies de la Numidie et de la Maurétanie*, Paris: Macon.

Cheniti, M. B. (2003); *Lights on the Ancient History of Algeria, Research and Studies*, Algiers: Dār al-Ḥikmah.

Cherbonneau, A. (1853); "Constantine et ses antiquités", *R.S.A.C.*, T. 1, Pp.: 102–131.

Cyprianus (1844); *Ad donatum, Patrologie latine*,T. IV, Paris: édition Migne.

Debruge, A. (1908); "La grotte des Ours". R.S.A.C., T. 43, Pp.: 117–148.

Debruge, A. (1909); " Fouille de La grotte des Mouflon à Constantine ", XXXVIII congres de l'Association française pour l'avancement des sciences, Lille.

Debruge, A. (1912); "La station préhistorique du Djebel–Ouach (prés de Constantine)". R.S.A.C., T. 46, Pp.: 219–229.

Debruge, A. (1915); "La grotte des Pigeons à Constantine". R.S.A.C., T. 49, Pp.: 179 –180.

Debruge, A. (1916); "La grotte des Pigeons à Constantine". R.S.A.C., T. 50, Pp.: 9–23.

Delamare, A. (1850); Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840– 1845, Paris: Imprimerie nationale.

Desanges, J. (1962); Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil. Dakar.

Desanges, J. (1999); La Cirta de Salluste et celle de Froton dans Toujours apporte fait nouveau, Paris: De Boccard.

Diodorus Siculus (1967); *Bibliotheca Historica*, translated by F. R. Walton and R. M. Geer, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

Diodore de Sicile (2014); *Bibliotheca Historica*, texte établi et traduit et commenté par Goukowsky, Paris: les belles lettres.

Dion Cassius (1995); *Histoire romaine*, traduit et annoté par J. Auberger, Paris: Les belles Lettres.

Février, P. A. (1967); "Recherches archéologiques en Algérie (1964–1966)". C.R.A.I, Pp.: 92–109.

Florus (1967); Abrégé de l'histoire romaine, texte établi et traduit par P. Jal, Paris: Les belles lettres.

Frontonis, M. Cornelii (1988); *Epistulae, De bello Parthico*, J. Ven den Hout, ed. Leipzig: Teubner.

Ghānim, M. S. (2003); *The Numidian Kingdom and the Punic Civilization*, Algeria: Dār al-Huda.

Gsell, St. (1911); *Atlas archéologique de l'Algérie*, Paris: A. Jourdin.

Gsell, St. (1972); *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T2. 5, réimpression de l'édition 1921–1928, Germany: Otto Vonzeller Verlag Osnabruck.

Hécataei Milesii (1806); *Historicum graecom antiquisimorum fragmenta, texte recueillis par M. Creizer,* Heidelberg.

Hinglais, U. (1904); "Catalogue du musée archéologique de Constantine". *R.S.A.C.*, T. 38, Pp.: 1-402.

Itinerarium Antonini augusti (1845); Paris: édition de Fortia.

Joleaud, L. (1937); "Le Ravin de Constantine et les Origines de Cirta". *R.S.A.C.*,T. 64, Pp.: 1-17.

Judas, A. (1860–1861);"Sur dix–neuf Inscriptions Numido–Punique Découvertes à Constantine".*R.S.A.C.*,T. 5, Pp.: 1-102.

Judas, A. (1866); "Seconde addition au mémoire sur dix-neuf inscriptions numidico - puniques ou mémoire sur diverse inscriptions phénicienne" carthaginoises et néo-puniques dont cinq sont inédites". *R.S.A.C.*, T.10, Pp.: 269-315.

Justinus (1833); *Histoire Universelle*, XIX,2-4, traduction par J. Rierrol et E. Biotard, Paris: Panckouck.

Khader, A. (2012); *Atlas of the History of Algeria*, Beirut: Dār al-Sharq al-'Arabī.

Laplace-Jauretche, G. (1956); "Découverte d'un Gisement à Galets Taillés (Pebble Culture) dans le Quaternaire ancient de Mansourah (Constantine)". *Bulletin de la Société préhistorique française (B.S.P.F.)*, vol. 53, no. 3-4, Pp.: 215-216.

Leschi, L. (1937); "Cirta de la Capitale numide à la colonisation romaine". R.S.A.C.,T. 64, Pp.: 19-38.

Leschi, L. (1952); *Algérie antique*, Paris: Publication du Gouvernement général de l'Algérie.

Manṣūrī, Kh. (2006); "Mascula (Khenchela) à l'époque Romaine".*Magazine al-Ḥiwār al-Fikrī*, vol. 8, no. 8, Pp.: 150-167.

Marçais, G. (1916); "Notice sur les poteries trouvées dans la grotte des Pigeons à Constantine". *R.S.A.C.*, T. 50, Pp.: 37-47.

Marchand, J. (1866); "Inscriptions inédites recueillies à Constantine et dans la province pendant l'année 1865-1866". *R.S. A.C.*,T.10, Pp.: 17-96.

Mazard, J. (1955); *Corpus NummorumNumidaeMauretaniaeque*, Paris: Arts et métiers graphiques.

Mercier, G. (1917-1918); "A propos des origines de Constantine".*R.S.A.C.*,T. 51, Pp.: 1-25.

Mhantal, J. (2011); *The Roman Metropolis of Constantine Kirta*, Algeria: Dar al-Huda.

Minicius Felix (1964); *Octavius, texte établi et traduit par Jean Beaujeau. Coll. « Budé, Série latine*,Paris: Les belles lettres.

Optatus (1845); *De Shismate donatistarum*, PL,T X, Paris: édition Migne.

Paul Orose (2003); *Histoires contre les païens, texte établi et traduit par Marie-Pierre Arnaud – Lindet* Collection des universités de France: Série latine, Paris: Les belles lettres.

Pellegrin, A. (1949); "Recherche sur l'étymologie de Cirta". *Institut des belles lettres arabes*, 47, Pp.: 227-236, Tunis.

Périple de Scylax (1845); *Geographi Graeci minores*, Paris: édition de Fortia.

Périple d'Hannon (1855); *Geographi Graeci minores*, Paris: F. Didot.

Plinius (1980); *Histoire naturelle*, texte établi ,traduit et commenté par G. Desanges, Paris: Les belles lettres.

Polybius (1970); *Histoire romaine ,texte traduit et présenté et annoté par D. Roussel*, Paris: Gallimard.

Pomponius, Mela (1988); *De Chrographia*, texte établi et annoté par Sabilberman, Paris: Les belles lettres.

Ptolemaeus (1901); *Geographia*, IV,3, 6-7, traduit par C. Muller, Paris.

Reboud, J. M. (1870); *Recueil d'inscription libyco–berbère*, Paris.

Reboud, V. (1876-1877); "Quelques mots sur les stèles néopuniques découvertes par Lazard Costa". *R.S.A.C.*,T17, Pp.: 364-462.Reboud, Y. and Goyt, A. (1879-1880); "Excursions archéologiques dans les environs de Milah et de Constantine". *R.S.A.C.*,T. 20, Pp.: 36-37.

Sallustius (1989); *Bellum Iugurthinum*, "texte établi et traduit par A. Ernout, Paris: Les Belles Lettres.

Strabon (2014); *Géographie de Strabon*, texte établi et traduit par B. Laudenbach, commenté par J. Desanges. Paris: Les belles lettres.

Sznycer, M. and Bertrandy, F. (1987); *Les Stèles puniques de Constantine*, Paris: éditions de la Réunion des musées nationaux.

Tabula Peutengeriana (1845); Paris: édition de Fortia.

Tertullianus (1961); *Apologeticum, texte* établi et traduit par J. P. Waltzing avec la collaboration de Albert Serveryns, 2eme ed., Paris: Les belles lettres.

Thepenier, E. (1912); "La stèle punique de Bellevue (Constantine)". *R.S.A.C.*, T. 46, Pp.: 231-236.

Thepenier, E. (1914); "Notice sur quelques fragments puniques et romains". *R.S.A.C.*,T. 48, Pp.: 193-205.

Thepenier, E. (1927); "Sur quatre stèles punique de Constantine". *R.S.A.C.*,T. 58, Pp.: 271-279.

Titus Livius (1928); *Histoire romaine,* texte traduit par E. Lassère, Paris: Garnier.

Valerius Maximus (1997); *Actions et Paroles Mémorables*,V, 2, texte établi et traduit par R. Combès, Paris: Les belles lettres.

Vars, Ch. (1894); "Recherches archéologiques sur Cirta". *R.S.A.C.*,T. 29, Pp.: 1-516.